EuroMed Feminist Initiative
المبادرة النسوية الأورومتوسطية
Initiative Féministe EuroMed

Duderi e.V.

ديناميات الإقصاء والعنف في التعليم
وأثره على بناء السلام في سوريا

دراسة أجرَتها منظّمة دودري(Duderi e.V)
بالشراكة مع المبادرة النسويّة الأورومتوسّطيّة

أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٣

ديناميّات الإقصاء والعنف في قطاع التعليم

وتأثيرها على بناء السلام في سوريا

دراسة أَجرَتها منظّمة دودري (Duderi e.V)

بالشراكة مع المبادرة النسويّة الأورومتوسّطيّة

أيلول/سبتمبر ٢٠٢٣

EuroMed Feminist Initiative
المبادرة النسوية الأورومتوسطية
Initiative Féministe EuroMed

المحتويات

الاختصارات 7

المقدّمة 8

المنهجيّة 8

الاستنتاجات 9

I. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، السويداء 11

السياق 11

لمحة عن النظام التعليمي 11

جودة النظام التعليمي 12

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs) 12

العنف في النظام التعليمي 13

التمييز وعدم الإدماج 14

الإدماج والمساواة بين الجنسَين في المناهج الدراسيّة 15

..... 16

..... 16

التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا) 17

II. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، الرقّة 19

السياق 19

لمحة عن النظام التعليمي 19

جودة النظام التعليمي 20

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs) 21

العنف في النظام التعليمي 22

التمييز وعدم الإدماج 23

الإدماج والمساواة بين الجنسَيْن في المناهج الدراسيّة 25

التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا) 26

III. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، إدلب 27

السياق 27

لمحة حول النظام التعليمي 27

جودة النظام التعليمي 27

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs) 28
العنف في النظام التعليمي 28
التمييز وعدم الإدماج 30
الإدماج والمساواة بين الجنسَيْن في المناهج الدراسية 31
التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا) 31
التوصيات 33
الخلاصات 35

الاختصارات

منظمة مجتمع مدني	Civil Society Organisation	CSO
مجموعة نقاش مركّزة	Focus Group Discussion	FGD
هيئة تحرير الشام	Hay'at Tahrir al-Shams	HTS
نازح داخليًّا	Internally Displaced Person	IDP
الدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش)	Islamic State of Iraq and Syria	ISIS
وزارة التربية	Ministry of Education	MoE
وزارة الداخليّة	Ministry of Interior	MoI
حزب الاتّحاد الديمقراطي	Kurdish Democratic Union Party	PYD
المرصد الإقليمي لمؤسّسات المجتمع المدني	Regional Civil Society Observatory	RCSO
الهيئة السوريّة لشؤون الأسرة والسكّان	Syrian Commission for family Affairs and Population	SCFAP
العنف ضدّ النساء والفتيات	Violence against Women and Girls	VAWG

المقدّمة

تعرض هذه الدراسة كيفيّة تداخل ديناميّات الإقصاء والعنف مع قطاع التعليم في ثلاث مناطق في سوريا، وهي السويداء والرقّة وإدلب. وتخضع هذه المناطق الثلاث لسلطات مختلفة، فتقع السويداء تحت سيطرة النظام السوري، وإدلب تحت سيطرة هيئة تحرير الشام، في حين تسري في الرقّة سلطة "الحكم الذاتي". وتنظر الدراسة في اختلاف المناهج الدراسيّة في كلٍّ من هذه المناطق في سوريا نظرًا لاختلاف السلطات التي تحكمها، في محاولةٍ لتوضيح كيفيّة تأثير ذلك على فهم المجتمع للإقصاء والعنف القائمَين على النوع الاجتماعي والعرق والأصل الإثني والدين.

تجدر الإشارة إلى أنّ تغييراتٍ متعدّدة طالت المناهج الدراسيّة بعد الانتفاضة السوريّة في العام 2011. ففي العام 2015 على وجه الخصوص، تمّ تعديل المناهج في المناطق الثلاث المشمولة في الدراسة، وذلك بناءً على الوعد الممنوح بتكييف المناهج مع أجواء العنف والنزاع الحاليّة كما مع التقدّم الاجتماعي والتطوّر التكنولوجيّ. وقد أُجريَت الكثير من الدراسات حول دور المناهج الدراسيّة في تعزيز اعتماد أيديولوجيا مشتركة قد تساهم في إضفاء الشرعيّة على السلطة القائمة. وينطبق هذا بشكلٍ خاص في سياق الأنظمة الديكتاتوريّة التي تسعى إلى زرع الأجندة الأيديولوجيّة لأحزابها السياسيّة في عقول الناس من خلال المناهج الدراسيّة.

تركّز الدراسة بشكلٍ أساسي على التأثير المتبادَل والمعقَّد بين النظام التعليمي الحالي وبناء السلام. وتسعى إلى إظهار التحدّي المتجذّر الذي تواجهه مبادرات بناء السلام عندما يشمل أو يكرّس النظام التعليمي عناصر مثل العنف، والتمييز القائم على النوع الاجتماعي، والدين والأصول الإثنيّة، والدعاية (البروباغندا)، وعدم الإدماج، وعدم مراعاة النوع الاجتماعي. لا تعدو هذه العناصر كونها مجرّد مخاوف قائمة بحدّ ذاتها، بل تشكّل عائقًا جماعيًّا يحول دون النهوض بمجتمعٍ مبنيٍّ على مبادئ السلام والمساواة والعدالة والإدماج.

ومن خلال تشريح تأثير هذه المكوّنات ضمن الإطار التعليمي وتحليلها، تطمح هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الحاسم للتعليم إمّا في تيسير الطريق المؤدّي إلى تحقيق السلام الدائم والتماسك الاجتماعي أو عرقلته. إضافةً إلى ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم رؤى وتوصيات قيّمة مستمَدّة من مناقشات أُجريت مع مواطنين/مواطنات من خلفيّات ومناطق مختلفة في سوريا، ليطّلع عليها صنّاع السياسات والجهات المعنيّة التي تسعى إلى مواءمة النظام التعليمي مع الأهداف الأوسع نطاقًا لتحقيق السلام وحلّ النزاعات. كما تهدف هذه الدراسة إلى الإضاءة على كيفيّة تأثير هذا النوع من التعليم بشكلٍ غير متناسبٍ على النساء واشتماله على أعمال عنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG). وتسعى أيضًا إلى التشديد على أهمّيّة دحض ترسيخ الأيدولوجيّات الديكتاتوريّة التي أنشأها النظام البعثي والسلطات القائمة في هذه المناطق من خلال إبراز مدى تأثير المناهج الدراسيّة على الطلّاب/الطالبات اليافعين/اليافعات.

المنهجيّة

الإطار النظري

تستند المبادئ النظريّة المُعتَمدة في هذه الدراسة إلى ثلاثة جوانب. أوّلًا، تركّز الدراسة على النظريّات التي تبحث في العنف القائم على النوع الاجتماعي ضدّ المرأة والآثار السلبيّة المترتّبة على هذه الأفعال التمييزيّة في المجتمع، وذلك لأنّ البحث كشف عن تمييزٍ واضحٍ جدًّا ضدّ الفتيات في البيئة التعليميّة، لا سيّما بسبب التركيز على ثقافة الذكوريّة العسكريّة. ثانيًا، تبحث الدراسة في النظريّات التي تركّز على الإقصاء العرقي والديني، وتتطرّق بشكلٍ خاص إلى النظريّة النقديّة حول الأصل العرقي. ثالثًا، تتناول الدراسة تأثير استخدام العنف الرمزي في خلق عادة الإقصاء والعنف. ويستند ذلك إلى نظريّة بيير بورديو حول اكتساب العنف الرمزي المكبوت بسبب انتشار هذه الظاهرة على نطاق واسع في أي مجتمع.

تصميم منهجيّة البحث

استغرقت الدراسة ثلاثة أشهر امتدّت من أيّار/مايو إلى تموز/يوليو 2023، وقد تولّى فريق بحثي واحد التركيز على كل منطقة على حدى من المناطق الثلاث التي شملتها الدراسة والتي تتميّز كلّ منها بخصائص اجتماعيّة ديموغرافيّة[1] مختلفة للغاية. وقد اشتمل البحث على إجراء سلسلة من المقابلات الشخصيّة المعمّقة وشبه المنظَّمة، وتنظيم مجموعات النقاش المركّزة (FGDs)، وإجراء دراسات استقصائيّة مع عيّنة من أفراد المجتمع في كلّ مدينة: أي في السويداء والرقّة وإدلب. كذلك، شاركت في الدراسة ثلاث مجموعات شملت طلّاب/طالبات درسوا مناهج المدارس الثانويّة، أي تتراوح أعمارهم بين 13 إلى 17 عامًا، ومتخصّصون/متخصّصات في هذا المجال، مثل المعلّمين/المعلّمات الذين عملوا في مجال التدريس قبل الانتفاضة السوريّة في العام 2011، والجهات الفاعلة والناشطين/الناشطات في المجتمع المدني، والخبراء في مجال دراسات النوع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعيّة.

في خلال مجموعات النقاش المركّزة (FGDs)، تمّ استهداف 30 شخصًا من كلّ منطقة (إدلب: 18 امرأة و12 رجلًا؛ السويداء: 16 امرأة و14 رجلًا، الرقّة: 13 امرأة و17 رجلًا)، فكان مجموع المشاركين/المشاركات في هذه المجموعات 90 شخصًا. وقد ضمّت كلّ مجموعة 10 ممثّلين/ممثّلات عن كلّ فئة، طلّاب/طالبات (تتراوح أعمارهم بين 13 و17 سنة، 7 طالبات و3 طلّاب في الرقّة؛ 5 طالبات و5 طلّاب في كلٍّ من إدلب والسويداء)، ومعلّمون/معلّمات ومسؤولون/مسؤولات في القسم الإداري (6 نساء و4 رجال في كلٍّ من إدلب والسويداء، و4 نساء و6 رجال في الرقّة)، إلى جانب الجهات الفاعلة في المجتمع المدني (5 نساء و5 رجال في كلٍّ من السويداء وإدلب، و4 نساء و6 رجال في الرقّة). كذلك، أُجريَت 15 مقابلة معمّقة مع 6 نساء و9 رجال، منهم معلّمين/معلّمات وجهات فاعلة في المجتمع المدني. في الإطار عينه، تمّ إرسال دراسات استقصائيّة إلى 300 والد/والدة (199 والدة و101 والد) تطرح أسئلة حول تأثير المناهج الدراسيّة والبيئة المدرسيّة على أطفالهم[2]. وتمّ اختيار 30 مشارك/مشاركة من كلّ منطقة، منهم 10 ممثّلين/ممثّلات عن كلّ فئة: الطلّاب/الطالبات، والمعلّمون/المعلّمات، والمسؤولون/المسؤولات في القسم الإداري، والجهات الفاعلة في المجتمع المدني. بالإضافة إلى ذلك، قام فريق البحث بإجراء بحث مكتبي لاستكمال التحليل النظري وللبناء على الأبحاث الحاليّة والمتاحة حول المنطقة؛ وشمل ذلك مراجعة كتاب التربية الوطنيّة وكتاب التاريخ الصادرَين عن وزارة التربية التابعة للنظام السوري.

تجدر الإشارة إلى أنّ جميع المشاركين/المشاركات في هذه الدراسة قد تأثّروا بشكلٍ أو بآخر بالأيديولوجيّة البعثيّة القوميّة والذكوريّة والعسكريّة التي ترسّخت بعمق في نظام التعليم في سوريا منذ العام 1963. واعتبارًا من العام 1970، أي بعد تولّي حافظ الأسد السلطة، بات المجتمع المدني، الذي يلعب عادةً دورًا مهمًّا في بناء السلام والتعليم في المجتمع، بلا جدوى.

وقد شملت التحدّيات صعوبة الوصول إلى بعض المشاركين/المشاركات في بعض الحالات، وتخوّف بعضهم من أن يكونوا مراقَبين من قبل السُلطات في منطقتهم.

الاستنتاجات

- **العنف في النظام التعليمي**

تبيّن في المناطق الثلاث أنّ للعنف في النظام التعليمي آثارٌ سلبيّةٌ شديدةٌ على الطلّاب/الطالبات الذين يختبرون نهجًا عسكريًّا مُتّبعًا في التعليم يكبت إمكانيّة التساؤل، ويفرض الأدوار التقليديّة بين الجنسَين، ولا يولي الصحّة العقليّة والتجارب المؤلمة أي أهمّيّة، ويزيد

[1] محافظة السويداء ذات غالبيّة درزيّة (90% من سكّانها دروز، و7% مسيحيّون/مسيحيّات، و3% مسلمون/مسلمات)، وبالنسبة لمحافظة الرقّة فهي ذات غالبيّة عربيّة وأقلّيّة من الأكراد. أمّا سكّان إدلب فهم في الغالب مسلمون/مسلمات من الطائفة السنّيّة، مع أقلّيّة مسيحيّة ملحوظة.

[2] وجدَ فريق البحث في السياقات الثلاثة أنّه من المناسب إشراك نسبة أكبر من النساء اللواتي تمّت مقابلتهنّ أثناء إجراء الدراسات الاستقصائيّة، وذلك لأنّ الوالدات هنّ من يقمن برعاية أطفالهنّ، لا سيّما عندما يتعلّق الأمر بتعليمهم. إضافةً إلى ذلك، كانت النساء أكثر تجاوبًا عند المشاركة في الدراسة الاستقصائيّة، وهو مؤشّر آخر على مساهمتهنّ في هذا الإطار.

من حدّة التمييز.

- **التمييز وعدم الإدماج**

فشل المنهج التعليمي في المناطق الثلاث في طرح التنوّع الإثني والديني والثقافي القائم في المجتمع السوري، فهو يركّز إلى حدٍّ كبير على الهويّة العربيّة ولا يقدّم أي مناقشات معمّقة حول الأعراق المختلفة، ممّا يؤثّر بشكلٍ مباشر على وجهة نظر الطلّاب/الطالبات حيال الأصل الإثني ومفهومهم للتنوّع.

- **التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا)**

يُعتبر التعليم في جميع المناطق التي طالتها الدراسة أداةً للدعاية (البروباغندا) وتعزيز خطابات أيديولوجيّة محدّدة تعكس مصالح السلطة السياسيّة الحاكمة أو المجموعة المسيطِرة. لذلك، يعمل المنهج على تعزيز الولاء للأحزاب أو السلطات الحاكمة ويحرص على تصوير الزعيم الحالي كرمز وطني ومنقذ للدولة، مع ربط التحدّيات التي تواجهها الأمّة بأجندات خارجيّة. وهنا، يكمن الاختلاف الأساسي في من يتحكّم في السرديّة، ومن يُملي كيفيّة تفسير الأحداث التاريخيّة أو كيفيّة عرض حالة الالتفاف حول زعيم معيّن أو عبادته.

- **المساواة بين الجنسَين ومراعاة النوع الاجتماعي في المناهج الدراسيّة**

يظهر في جميع المناطق التي شملتها الدراسة نقصٌ في إدراج مساحةٍ للمساواة بين الجنسَين وأدوار المرأة في المجتمع، فالمناهج تفتقر إلى التمثيل المناسب للمرأة وتكرّس التمييز القائم على النوع الاجتماعي. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الوضع يتفاقم نتيجة ممارسات معيّنة مثل فصل الفتيات عن الفتيان داخل القاعات الدراسيّة وتحذير الفتيات من التحرّش الذي قد يتعرّضن له. وقد أعرب الأهل خلال الدراسات الاستقصائيّة التي أُجريت عن مخاوفهم بشأن التمييز القائم على النوع الاجتماعي، وحالات محدّدة من التحرّش، وعدم الاهتمام الكافي بالقضايا المتعلّقة بالنوع الاجتماعي في الإطار التعليمي.

في السياق عينه، يشير المؤشّر الإقليمي حول العنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG) (RCSO, 2023) إلى الافتقار إلى برامج محدّدة في سوريا لمعلّمي/معلّمات المدارس حول المساواة بين الجنسَين والعنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG)، حيث أنّ المناهج التعليميّة الوطنيّة لا تتضمّن قضايا متعلّقة بالعنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG)، والمساواة بين الجنسَين، وحقوق المرأة، وليس هناك برامج محدّدة متاحة لمعلّمي/معلّمات المدارس حول المساواة بين الجنسَين والعنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG). كذلك، لا تضمّ وزارة التعليم أي وحدة معنيّة بشؤون النوع الاجتماعي. وفي هذا الخصوص، نفّذت الهيئة السوريّة لشؤون الأسرة والسكّان (SCFAP) بعض حملات التوعية ضمن حملة الـ 16 يوم لمناهضة العنف ضدّ النساء والفتيات (VAWG). كذلك، أطلقت وزارة الإعلام في العام 2022 حملة بعنوان "لا تسكتي" لمكافحة العنف ضدّ المرأة، تهدف إلى نشر معلومات حول حقوق المرأة وتوعية الضحايا من النساء بحقوقهنّ القانونيّة والخدمات المقدَّمة للنساء من ضحايا العنف ضدّ المرأة.

I. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، السويداء

السياق

على الرغم من أنّ السويداء لم تعانِ من التدمير الممنهج الذي شهدته مناطق أخرى في سوريا، إلّا أنّها اختبرت التداعيات السلبيّة للحرب، لا سيّما الصعوبات الاقتصاديّة وهجرة الشباب الكبيرة. وقد استضافت محافظة السويداء طوال فترة النزاع عددًا كبيرًا من السوريّين النازحين داخليًّا (IDP)، ممّا أدّى إلى تضاعف عدد سكّانها[3]. واعتمدت المحافظة موقف الحياد الإيجابي تجاه النزاع السوري، مع رفض الشباب المحلّيّن الالتحاق بالخدمة العسكريّة الإجباريّة[4]. وتمّ تشكيل ألوية محلّيّة لأغراض الدفاع عن النفس ولحماية السكّان من الحملات العسكريّة المحتمل شنّها من قبل الجيش السوري وقوّات المعارضة السوريّة المحيطة بالمدينة. كذلك، واجهت السويداء هجمات قامت بها جماعات دينيّة متطرّفة، أبرزها هجوم داعش في العام 2018. وأكّد سكّان المحافظة أنّ الجيش لم يدافع عنهم بشكلٍ فعّال خلال تلك الهجمات، ممّا أدّى إلى توتّر العلاقات بين المحافظة والسلطة المركزيّة، وزيادة نسبة التسلّح محلّيًا، وبذل النظام جهود لزعزعة الاستقرار الداخلي، ودعم العصابات الإجراميّة المتورّطة في عمليّات الاختطاف والقتل وتهريب المخدّرات، ليتسبّب ذلك كلّه بتفاقم الوضع الأمني. والجدير بالذكر أنّ 90% من سكّان محافظة السويداء هم دروز، و7% منهم مسيحيّون/مسيحيّات.

لمحة عن النظام التعليمي

أعلنت وزارة الثقافة في سوريا القضاء على الأمّيّة في محافظة السويداء عام 2008 بناءً على دراسة استقصائيّة إحصائيّة أُجريت في العام نفسه، أي قبل ثلاث سنوات من اندلاع الانتفاضة الشعبيّة في سوريا عام 2011[5]. في هذا الإطار، تشكّل ندرة البيانات تحدّيًا كبيرًا على صعيد تحليل النظام التعليمي في المنطقة، حيث لم يتمّ تحديث البيانات بشأن الإنفاق الحكومي على التعليم منذ العام 2014. إلّا أنّ التقديرات تشير إلى أنّ نسبتها بلغت 3.5% فقط في العام 2022، أي نسبة أقلّ بكثير من المخصّصات الموصى بها لقطاع التعليم[6].

خضع المنهج الدراسي في سوريا لمرحلتَين من التحديث، الأولى في العام 2008 والثانية بين العامَين 2015 و2018[7]. لا يزال المنهج يخضع لتغييرات، لكنّ هذه التحديثات المستمرّة للمناهج الدراسيّة لم تُقابلها تحسينات في البنية التحتيّة التعليميّة، مثل أبنية المدارس والقاعات الدراسيّة. ويُعتبر تعزيز البنية التحتيّة أمرًا بالغ الأهمّيّة لدعم المعلّمين/المعلّمات في أداء أدوارهم. وقد أشار أحد المعلّمين الذكور ضمن إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD) إلى أنّ "البنية التحتيّة كلّها غير كافية، بما فيها الأبنية المدرسيّة والموظّفين/الموظّفات والأدوات والأساليب التعليميّة."

[3] ليس هناك أي إحصاءات رسميّة عن الذين غادروا المحافظة أو انتقلوا إليها. "نظرة إلى وضع السويداء في خضمّ الصراع السوري"، عشتار الشامي، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، نُشر في 2022/10/12.

[4] أبناء السويداء يجددون رفضهم الالتحاق بالخدمة الاحتياطية.. والنظام يفصل المعتكفين"، صحيفة الشرق الأوسط، نُشر في 2014/9/15.

[5] بحضور السيدة "أسماء الأسد". إعلان محافظة السويداء خالية من الأمية"، موقع eSyria، نُشر في 2022/10/15.

[6] مرصد الألكسو، https://observatory.alecso.org/Data/?p=1399.

[7] الصفحة الخاصّة بالمناهج على موقع وزارة التربية.

عدم التقدّم المحجوب بذريعة التحديث

حرصت المناهج المحدَّثة على التوافق مع المبادئ التعليميّة الحديثة التي تؤكّد على ضرورة التفاعل بين المعلّم/المعلّمة والطالب/الطالبة في ما يخصّ إلقاء المحاضرات النظريّة والتلقين. غير أنّ هذه التحديثات لم تحقِّق تأثيرها المرجو بسبب تصميم القاعات الدراسيّة الذي يتّبع التخطيطات التقليديّة، حيث يجلس الطلّاب في صفوف ويستمعون بشكل غير تفاعلي إلى المعلّم/المعلّمة، بدلاً من التفاعل معه/معها[8].

ومن الضروري الإشارة إلى أنّ الوضع تفاقم بسبب النزوح الداخلي الناجم عن العمليّات العسكريّة. ولم تنجح الحكومة في بناء مدارس جديدة أو توسيع المدارس القائمة لاستيعاب تدفّق الطلّاب/الطالبات النازحين/النازحات داخليًّا. وتضخّمت الأعداد في القاعات الدراسيّة حيث بات عدد الطلّاب/الطالبات يتراوح بين 50 و60 في كلّ قاعة، ما حال دون تطبيق أسلوب التعلّم التفاعلي. علاوةً على ذلك، كانت القاعات الدراسيّة تفتقر إلى التكنولوجيا الأساسيّة مثل الشاشات وأجهزة الكمبيوتر المحمولة، وبسبب انقطاع التيّار الكهربائي المتكرّر كانت المعدّات المتاحة تغدو عديمة الفائدة[9].

بالإضافة إلى ذلك، امتدّ الفساد الإداري المتفشّي، بدءًا من أعلى المستويات، إلى جميع أقسام النظام التعليمي. وشمل تعيينات مشكوك فيها لأعضاء هيئة التدريس والموظّفين/الموظّفات في القسم الإداري، وسوء التصرّف بالأموال من الجهات المانحة، وتسريب أسئلة امتحانات الثانويّة الوطنيّة.

جودة النظام التعليمي

تمثّلت إحدى النتائج المترتّبة على جميع المشاكل المذكورة أعلاه (الفساد الإداري، والافتقار إلى التدريب، والافتقار إلى الجدارة) في تدهور جودة التدريس في القاعات الدراسيّة، حيث سعى المعلّمون/المعلمات إلى زيادة دخلهم/دخلهنّ من خلال إعطاء الدروس الخصوصيّة. وتدعم نتائج الدراسات الاستقصائيّة هذا الاستنتاج حيث يعتقد 61% من المشاركين/المشاركات (17 والدًا و83 والدةً) أنّ التعليم الحكومي ليس كافيًا لأطفالهم[10].

ولم يكن من الممكن للمعلّمين/المعلمات المشاركة في الدورات التدريبيّة أو الاطّلاع على ما يسمّى بالمناهج الحديثة المعدّلة، ولم يحظوا حتّى بحرّيّة التعبير عن رأيهم، لدرجة أنّه كان من غير المسموح لهم توجيه أي انتقاد أو حتّى مناقشة سياسة التعليم. وقد أجمع المعلّمون/المعلّمات الذين تمّت مقابلتهم/مقابلتهنّ على أنّهم/أنّهنّ "غير مستقلّين/مستقلّات"، وأنّ الإدارة هي دائمًا الطرف الثالث الذي يحدّد العلاقة بين المعلّم/المعلّمة والطلّاب/الطالبات، وأنّ بعض المواد مثل التاريخ والتربية الوطنيّة تُستخدم لتعزيز رؤية السلطة السياسيّة[11]، ويؤدّي ذلك إلى الكشف عن تحديث نظام التعليم ومحاربته ومنع مواءمته مع أنظمة القيم المحدَّثة والتطوّرات التكنولوجية.

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs)

لا يزال دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs) في السويداء مقيّدًا بشكلٍ كبيرٍ بسبب سيطرة السلطة المحلّيّة في المنطقة. ويجعل هذا الظرف من شبه المستحيل على هذه المنظّمات المشاركة في محاولات الضغط أو الجهود الرامية إلى تقديم التوصيات اللازمة أو دعم

[8] مجموعة نقاش مركّزة (FGD) مع قادة ونشطاء في المجتمع المدني، في 2023/05/24.

[9] التربية السورية تفتح تحقيقًا حول تسريب الأسئلة الامتحانية. نورث برس (North Press Agency)، 2023/06/25.

[10] من بين 83 امرأة مشارِكة، أجابت 65% بـ"لا"، في حين أنّ 35% أجابت بـ"نعم" و "نوعًا ما نعم". أمّا الرجال البالغ عددهم 17 رجلًا فأجابوا جميعهم بـ"لا."

[11] مجموعة نقاش مركّزة (FGD) مع قادة ونشطاء في المجتمع المدني، في 2023/05/24.

المناهج البديلة. وتحدّ البيئة الخاضعة لرقابة مشدّدة من المساحة المُتاحة للمجتمع المدني للعمل بشكلٍ مستقلٍ والدعوة إلى إجراء إصلاحات تعليميّة أو القيام بمبادرات مجتمعيّة. ونتيجةً لذلك، إنّ قدرة المجتمع المدني على المساهمة بنشاطٍ في تطوير النظام التعليمي في السويداء وتحسينه مقيّدة إلى حدٍّ كبيرٍ، الأمر الذي يعكس التحدّيات التي يواجهها كل من يسعى إلى إحداث تغييرٍ إيجابيٍّ في المشهد التعليميّ في المنطقة.

العنف في النظام التعليمي

لا شكّ أنّ العنف في النظام التعليمي يحول دون استفادة الطلّاب/الطالبات من تجربة التعلّم، إذ يواصل المعلّمون/المعلّمات والموظّفون/الموظّفات في القسم الإداري التعامل مع هؤلاء الطلّاب/الطالبات على أنّهم/أنّهنّ مذنبون/مذنبات، ممّا يُعيد إلى الأذهان التربية العسكريّة في المدارس. ويُتَرجَم ما سبق عمليًّا من خلال تنشئة الطلّاب/الطالبات على الكثير من الممنوعات، مثل: "لا تحدّق أبدًا في عينَيّ معلّمك/معلّمتك أو ترفع صوتك في وجهه/وجهها" وشعار الجيش السوري "نفّذ ثمّ اعترض". وقد أفاد الطلّاب/الطالبات خلال مجموعات النقاش المركّزة (FGDs) أنّه عند الردّ على هذه المحظورات، يُتَّهم الطلّاب الذكور بعدم الاحترام، ويُشَكَّك في أخلاق الطالبات وتربيتهنّ فتوصفن بمصطلحاتٍ جارحة، ما يُعتَبر أحد أشكال التمييز بين الجنسَين والعنف القائم على النوع الاجتماعي.

يُعتبر العقاب شكلًا شائعًا من أشكال الردّ، حيث يعتقد 78% من الأهالي الذين شملتهم الدراسات الاستقصائيّة أنّ العقاب غير فعّالٍ لمنع تكرار الخطأ، في حين يعتقد 18% منهم أنّه قد يكون بمثابة تأديب. وهنا، يجب الانتباه إلى أنّ هذه الإجابات تأتي في إطارٍ يُعتبر فيه العنف ضدّ الطلّاب/الطالبات أمرًا طبيعيًّا، لا بل أحد أشكال التربية أيضًا وتذكيرًا بالتربيّة العسكريّة.

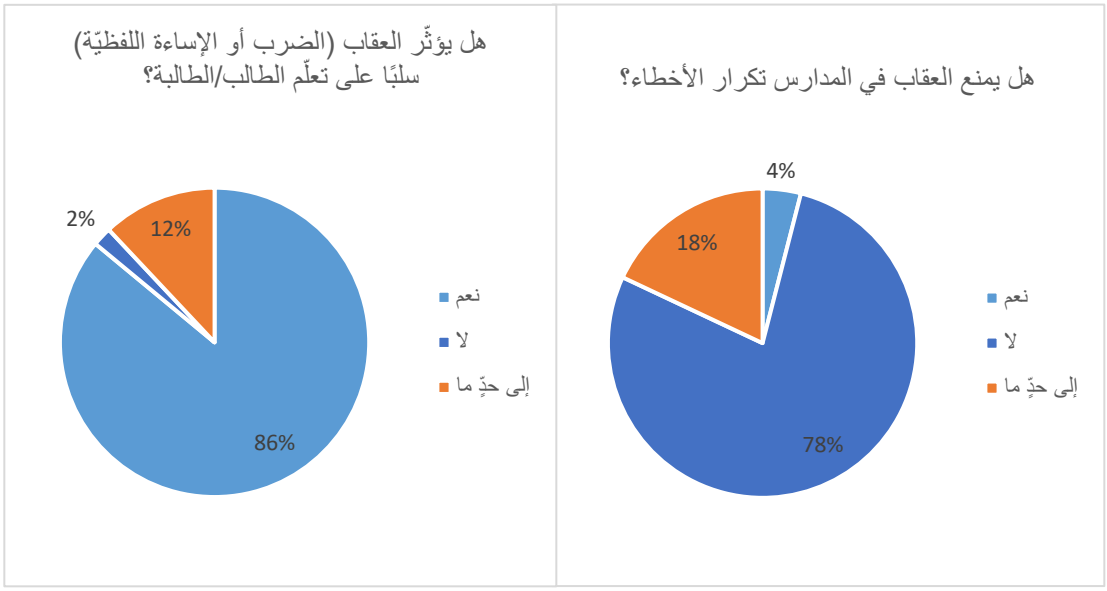

الرسمان البيانيّان 1 و2: آراء الأهالي حول عقاب الطلّاب/الطالبات في النظام التعليمي في السويداء

يستمرّ العنف والتمييز الذي يعاني منه الطلّاب/الطالبات في إطار مسيرتهم التعليميّة خاصّةً وحياتهم عامّةً، مُخَلّفًا انعكاساتٍ سلبيّةً تؤثّر على رفاههم وتقدّمهم في مجال التعلّم. وفي هذا الخصوص، أعرب 41% من المشاركين/المشاركات في الدراسة الاستقصائيّة عن رأيهم/رأيهنّ بأنّ المناهج التربويّة لا تتضمّن بشكلٍ كافٍ مواد ومفاهيم نظريّة تُثني عن ممارسة العنف، فضلًا عن كونها لا تنظر في التعامل مع الأثر العاطفي الذي يلحق بالطلّاب/الطالبات بسبب فقدان أحبّائهم/أحبّائهنّ خلال أوقات النزاع. وقد فشلت جميع التغييرات

التي طرأت على المناهج التعليميّة في مراعاة الظروف المعيشيّة للطلّاب/الطالبات وما يعانونه من شدائد، لا سيّما فقدان أحبّائهم/أحبّائهنّ، والنزوح القسري، والعنف، والقتل، والاحتجاز، والاختفاء القسري[12].

كذلك، من المهمّ الإضاءة على أنّ بعض أشكال العنف الأخرى في النظام التعليمي تتمثّل في عدم مراعاة المسائل المتعلّقة بالصدمات والصحّة العقليّة. وفي هذا الصدد، أفاد 79% من الأهالي أنّ أطفالهم/أطفالهنّ يعانون من الاكتئاب، ما يسلّط الضوء على سبب تسجيل السويداء أعلى معدّلات الانتحار بين جميع المحافظات السوريّة، بمعدّل 23 حالة انتحار سنويًّا.[13]

التمييز وعدم الإدماج

يبيّن كتاب التربية الوطنيّة الذي صدر مؤخّرًا تغييرًا كبيرًا في النهج الذي تتّبعه الحكومة لجهة الاعتراف بالتنوّع داخل المجتمع السوري، وليس هذا التحوّل سوى استجابةٍ واضحةٍ لتصحيح الإغفال المتعمّد للمناقشات حول التنوّع الديني والعرقي في المواد التعليميّة السابقة. تُصوِّر المناهج المحدَّثة المجتمع السوري الآن على أنه أشبه بالموزاييك، مبرزةً إيّاه بوصفه "أحد أكثر المجتمعات المتنوّعة ومتعدّدة الأوجه في العالم العربي"[14]. وجديرٌ بالذكر أنّ مصطلح "التنوّع" يظهر ستّ مراتٍ عند الإشارة إلى المجتمع السوري ضمن المناهج الدراسيّة.

مع ذلك، لا تزال هذه المناهج، على غرار السابقة، ترسّخ صورةً نمطيّةً مفادُها أنّ هذا المجتمع المتنوّع للغاية متّحدٌ تحت هويّةٍ جماعيّةٍ واحدة، ألا وهي: ***العروبة***. وتمتنع المناهج الدراسيّة عن تقديم تفاصيل محدّدة حول مختلف الأعراق أو القوميّات التي تساهم في هذا التنوّع، مثل الأكراد والآشوريّين والتركمان، بل تؤكّد باستمرارٍ على الهويّة العربيّة للمجتمع السوري. وفي سياقٍ مماثل، تتناول المناهج مفهوم الهويّة الوطنيّة وتحدّد سمات المواطن المسؤول المكلَّف بحماية هذه الهويّة ودعمها، غير أنّها تفشل في تقديم تعريفٍ واضحٍ لمصطلح "مواطن". ومن الملحوظ أنّ اللّغة العربيّة تفتقر إلى المصطلحات المحايدة جنسانيًا، وأنّ المناهج الدراسيّة تعتمد صيغة المذكّر طوال الوقت.

وتبرز من بين هذه السمات المحدّدة ضرورةُ تجاوزِ أي هويّاتٍ ثانويّة، سواء كانت عائليّة أو قبليّة أو طائفيّة، قد تُضعف الهويّة الوطنيّة الأساسيّة. وتؤكّد الحكومة على أنّ الشعور بالانتماء إلى جماعة دينيّة أو عرقيّة يشكّل تهديدًا للهويّة الوطنيّة الجماعيّة التي يُرمَز إليها بكيانَين أساسيَّين هما: القوات المسلّحة والرئيس. وبالتالي، يميل ذلك إلى مساواة الولاء للوطن بالولاء للحزب الحاكم وزعيمه[15].

وعلى الرغم من عدم تنوّع المناهج الدراسيّة، إلّا أنّ هناك رغبةً مجتمعيّة في أن يكون التعليم أكثر شمولًا. وقد أكّد 71% من المشاركين/المشاركات[16] في هذه الدراسة الاستقصائيّة الكمّيّة، ضرورة أن تتضمّن المناهج التربويّة محتوى أكثر شمولًا يتعلّق بالتنوّع الثقافي الغني داخل سوريا، بما في ذلك المناقشات المعمّقة حول الاختلافات العرقيّة والقوميّة. إضافةً إلى ذلك، أيّد 88% من المشاركين/المشاركات[17] أن تكون المناهج الدراسيّة منفصلة عن التأثيرات الدينيّة ومستقلّة عنها.

---

[12] مجموعة نقاش مركّزة (FGD) مع خبراء/خبيرات في مجال التعليم، 2023/05/27.

[13] 4 حالات انتحار خلال 3 أشهر في السويداء السوريّة، العربي الجديد. 2023/04/05.

[14] من كتاب التربية الوطنيّة: "خصائص المجتمع السوري: التنوّع والتعدّديّة. يُعرَف المجتمع السوري العربي بتنوّع سكّانه وأنماط حياتهم، ومجموعاته المتنوّعة التي تتشارك التاريخ والثقافة. وقد تمّ بفضل هذه الوحدة إنشاء نظام سياسي مركزي ودولة موحّدة. ويُترجَم هذا التنوّع من خلال الهويّة الجماعيّة المشتركة".

[15] كتاب التربية الوطنيّة، ص 52.

[16] كانت النساء المشاركات في الدراسة الاستقصائيّة بشكلٍ خاص أكثر ميلًا لدعم تطوير مناهج أكثر تنوّعًا (أجابت 59 امرأة بـ"نعم" في حين أنّ 12 رجلًا أجاب بـ"نعم")

[17] كذلك، كانت النساء المشاركات في الدراسة الاستقصائيّة أكثر ميلًا نسبيًّا إلى دعم وضع منهج مستقلّ تمامًا أو إلى حدٍّ ما عن الدين (78 امرأة مقابل 17 رجلًا).

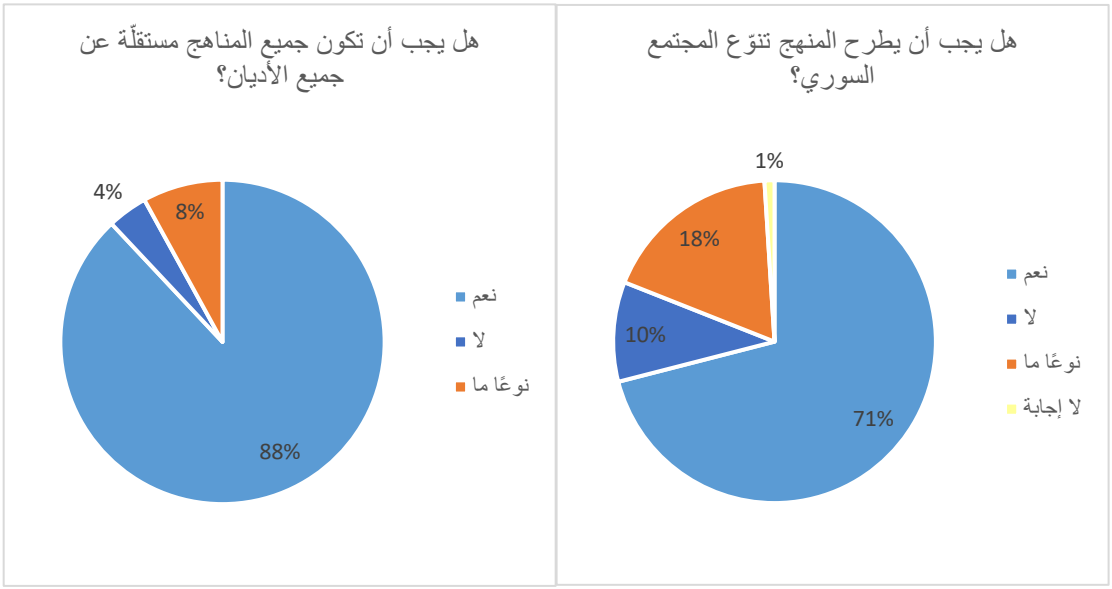

الرسمان البيانيّان 3 و4: آراء الأهالي حول ضرورة إدراج المزيد من المناقشات في المناهج الدراسيّة السوريّة حول التنوّع العرقي والديني والقومي في السويداء

الإدماج والمساواة بين الجنسَين في المناهج الدراسيّة

تتجنّب كتب التربية الوطنيّة مناقشة قضايا المرأة وأدوارها في المجتمع إذ لا يوجد تصوير لنماذج نسويّة أو نسائيّة يُقتضى بها، كما أنّها لا تتطرّق إلى المساواة بين الجنسَين والقضايا المتعلّقة بحقوق المرأة. بل على العكس، يقتصر الإتيان على ذكر المرأة في الكتب المدرسيّة على مقتطفات مختصرة من محادثات تدور بين مذيعة وعالم/عالمة أو طبيب/طبيبة معروف/معروفة، ومعلّم/معلّمة، وبين جدّة وأحفادها. وتذكر كتب التاريخ بشكلٍ ضئيلٍ الشخصيّات النسائيّة، وغالبًا ما يكون ذلك لتعزيز السرديّة الرسميّة المُعتَمَدة لدى السلطات. وينبغي الإشارة إلى أنّ مصطلح "نساء" يظهر في الكتاب بأكمله عشر مرّات فقط، بينما تظهر عبارة "(نساء) سوريّات" مرّة واحدة فقط ضمن الدرس الذي يحمل عنوان "سوريّات صنعن المجد"[18].

ولسوء الحظ، يتماشى الافتقار إلى ذكر المرأة في الكتاب والإغفال عن حقوقها مع الواقع الذي تواجهه يوميًّا في المنطقة، حيث تتعرّض للتمييز والعنف القائم على النوع الاجتماعي. إذًا، يمكن القول أنّ غياب تمثيل المرأة في المناهج الدراسيّة يؤدّي إلى تعزيز الأعراف والممارسات الاجتماعيّة المتجذّرة في التمييز القائم على النوع الاجتماعي وتكريسها.

على سبيل المثال، يتمّ اتّباع ممارسةٍ سائدة تتمثّل في الفصل بين الفتيات والفتيان داخل القاعات الدراسيّة، وهو أمرٌ لا يقبله المجتمع وحسب، بل يدعمه أيضًا. وتدور مناقشات التفاعل بين الطلّاب والطالبات في المقام الأوّل حول المخاطر المحتملة للمضايقة أو التحرّش، مع تحذير الطالبات حصريًّا من هذه المخاطر. في إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD)، أعطت إحدى الطالبات المثال التالي: "تُعارض إحدى معلّماتنا بشدّة السماح للطلّاب والطالبات مشاركة المقعد نفسه، وتبرّر هذا الموقف بحجج تبدو غير منطقيّة، مثل الخوف من التحرّش. سألتني ذات مرة: "ماذا لو فُتح سحّاب بنطالك عن طريق الخطأ، ماذا يحصل؟"" والجدير بالذكر أنّ هذه الملاحظات والتحذيرات موجّهة فقط للطالبات، ولا يقابلها أي توجيهات أو تحذيرات تستهدف الطلّاب الذكور[19].

[18] كتاب التاريخ للصفّ التاسع، ص. 87-91.

[19] مجموعة نقاش مركّزة (FGD) مع قادة ونشطاء في المجتمع المدني، في 2023/05/24. قال أحد مستشاري الدعم النفسي والاجتماعي "إذا أبدت إحدى الطالبات

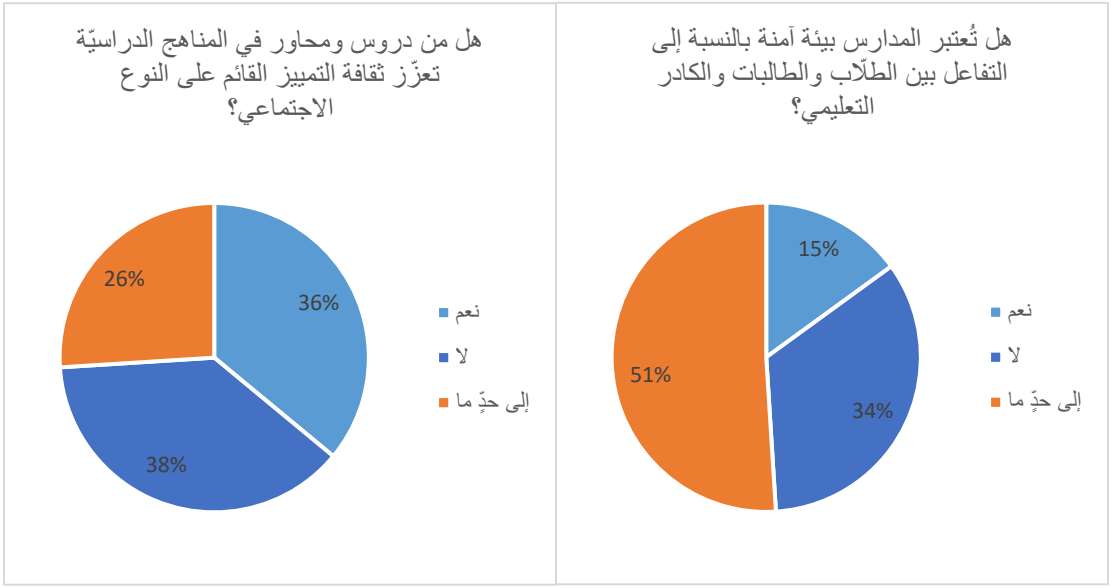

الرسمان البيانيّان 5 و6: التمييز القائم على النوع الاجتماعي ومستوى الأمن والسلامة في البيئة التعليميّة في السويداء

ومع ذلك، أكّد الأهالي على الطبيعة الإشكاليّة للبُعد الجنساني والنظام التعليمي. فقد تناولت مجموعات النقاش المركّزة (FGDs) والدراسة الاستقصائيّة التمييزَ القائم على النوع الاجتماعي المتفشّي داخل نظام التعليم وأُثيرت المخاوف بشأنه، ممّا يؤكّد الحاجة إلى تحديد بعدٍ جنساني أكثر وضوحًا في الممارسات التعليميّة. في هذا الخصوص، يعتقد 36% من الأهالي أنّ بعض المواضيع التي تتضمّنها المناهج الدراسيّة تساهم في تعزيز التمييز القائم على النوع الاجتماعي، في حين يرى 26% آخرون أنّ المناهج الدراسّية تكرّس إلى حدٍّ ما هذا التمييز، الأمر الذي يسلّط الضوء بشكلٍ أكبر على أهمّيّة معالجة القضايا القائمة على النوع الاجتماعي في الإطار التربوي. ويمكن ربط الإجابات بحالات التحرّش المتكرّرة المبلّغ عنها، حيث ذكر 43% من الأهالي المشاركين/المشاركات في الدراسة الاستقصائيّة أنّهم كانوا على علمٍ بحالات معيّنة من التحرّش القائم على النوع الاجتماعي داخل المدارس.

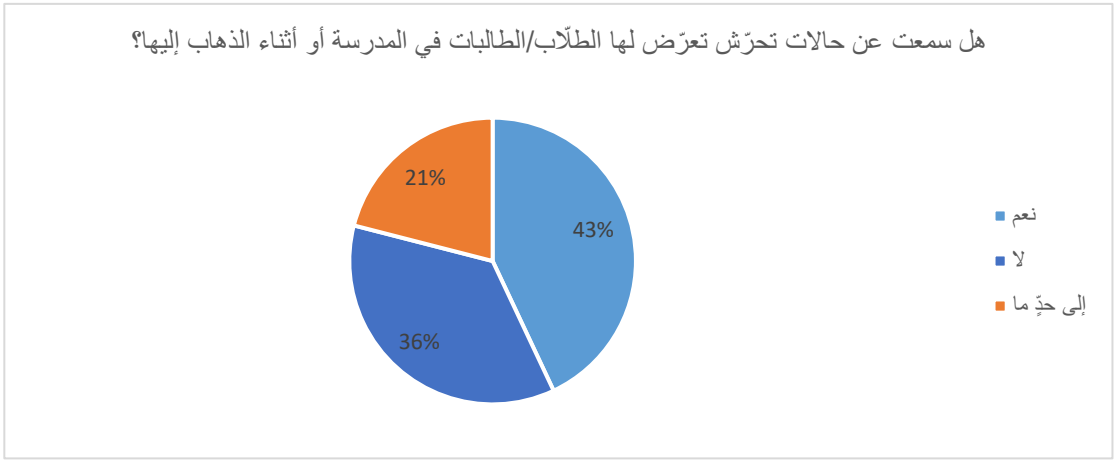

الرسم البياني 7: هل سمعت عن حالات تحرّش تعرّض لها الطلّاب/الطالبات في المدرسة أو أثناء الذهاب إليها؟

رغبتها في الزواج أقول لها إنّها مخطئة. لكن لو أبدى طالبٌ الرغبة نفسها فلا أمانع، وأقول له (أنت صبيّ ولك أن تقول ما تريد)".

على الرغم من عدم مشاركتهما بشكلٍ مباشر في قطاع التربية، إلّا أنّ اتّحاد شبيبة الثورة وطلائع البعث كانتا منظّمتَين سياسيّتَين معاونتين متحالفتَين مع حزب البعث، وقد عزّزتا أيديولوجيّة الحزب التي يتمّ تدريسها في المدارس السوريّة. لقد حضر الطلّاب فصولًا إلزاميّة لمدّة اثني عشر عامًا، تمّ تلقينهم فيها المبادئ البعثيّة والتأكيد على الولاء لقيادة الحزب حتّى بعد التغيير الدستوري الذي جرى في العام 2012. وسعت هاتان المنظّمتان إلى ترسيخ صورة الرئيس كزعيم أبدي من خلال منهج التربية الوطنيّة الذي نسب حقوق النقابات إلى حزب البعث. وقد تجذّر هذا التلقين الأيديولوجي في سنوات تأسيس الطلّاب/الطالبات مع منح الأولويّة للولاء لحزب البعث. استمرّت هذه السرديّة حتى العام 2020 عندما حُذف الدرس المتعلّق بالمنظّمات الشعبيّة، وكان قد طُرح ذلك في تحديث المناهج الدراسيّة في العام 2012. لقد شهد منهج التربية الوطنيّة تغييرات كبيرةً، منها تقليل التركيز على ثورة الثامن من آذار والنقابات مقارنةً بالمناهج السابقة، والتحوّل إلى التركيز على التعريفات والمفاهيم الحديثة للمجتمع المدني[20].

تحتوي المناهج الدراسيّة، لا سيّما كتاب التربية الوطنيّة، على عددٍ أقل من المراجع المرتبطة بحزب البعث والحركة التصحيحيّة وثورة الثامن من آذار. في المقابل، يتمّ التركيز بشكلٍ أكبر على الدروس المتعلّقة بتنوّع المجتمع السوري، والهويّة السوريّة، والوحدة الوطنيّة، ووحدة الأراضي السوريّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ المنهج يقدّم سرديّةً تُبرز الصمود الأسطوري لقائده الموروث أبًا عن جدّ. بالإضافة إلى ذلك، يُوظَّف التاريخ لتبرير الظروف الحاليّة من خلال المقارنة بين الثورة السوريّة الكبرى عام 1925 ضدّ الانتداب الفرنسي وحرب "التحرير" في تشرين الأول/أكتوبر 1973 ضدّ الاحتلال الإسرائيلي. يبيّن الكتاب مرارًا وتكرارًا الصلة بين هذه الأحداث التاريخيّة والقضايا المعاصرة، ويربط بشكلٍ رمزي الهويّة الوطنيّة والعلم الوطني والجيش بالزعيم الحالي بشّار الأسد، ممّا يوحي بأن إنجازاته في الحرب القائمة هي استمرار لنجاح والده في حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، ويصوّر بقاء الأسد على أنّه ضرورة لبقاء الدولة السوريّة، مع الإشارة إلى أنّ هذا التصوير يتناقض مع مفاهيم الديمقراطيّة والمجتمع المدني التي تُدرَّس ضمن المناهج نفسها.

تُعرَض هذه الإنجازات على الطلّاب/الطالبات في حين أنّ البلد من حولهم لا يزال في حالة دمارٍ شامل. ويشير الكتاب إلى أنّ سوريا كانت دولةً مثاليّةً قبل بداية الحرب، ويعزو هذه النقلة إلى بشّار الأسد الذي انتخبه أغلبيّة السوريّين في العام 2000، مشيدًا بعقليّته المنفتحة ونهجه التقدّمي، فيُظهره الكتاب كشخصيّة أساسيّة في تقدّم سوريا الحديثة، والحلقة الجوهريّة لخلاص الأمّة من مؤامرةٍ دوليّة مزعومة. كذلك، يعفي نصّ الكتاب الأسد من أي مسؤوليّة عن الأوضاع الكارثيّة الحاليّة في البلاد، مستعرضًا الضغوط الخارجيّة التي واجهتها سوريا في العام 2011، ويؤكّد أنّ الشعب السوري أظهر وحدةً وحكمًا سليمًا من خلال الحفاظ على مؤسّسات الدولة والوقوف خلف الرئيس لتجاوز الأزمة.

لا يمنح النظام التعليمي في سوريا الأولويّة لتنمية التفكير النقدي وتنشئة أفراد يتحلّون بالفطنة وبمعرفةٍ شاملة، ويمكن أن تُنسَب الكثير من التّحديات التي تؤثّر على الطلّاب/الطالبات والعمليّة التعليميّة نفسها إلى الحكم الاستبدادي. ولا يُقدَّم مفهوم الهويّة الوطنيّة على أنّه شعور وطني وولاء للوطن، بل على أنه ولاء للسلطات، مما يقوّض للأسف تعزيز الفكر المستقلّ والنقدي[21].

في هذا السياق، اعتبر 90% من المشاركين/المشاركات في الدراسة الاستقصائيّة أنّه من الضروري فصل المناهج عن المصالح السياسيّة للحزب الحاكم، في حين أنّ 4% منهم/منهنّ اعتبروا أنّه لا يجب ذلك.

[20] كتاب التربية الوطنيّة للصفّ التاسع، العام الدراسي 2021/2020، ص. 24

[21] مجموعة نقاش مركّزة (FGD) مع خبراء/خبيرات في مجال التربية، 2023/05/27.

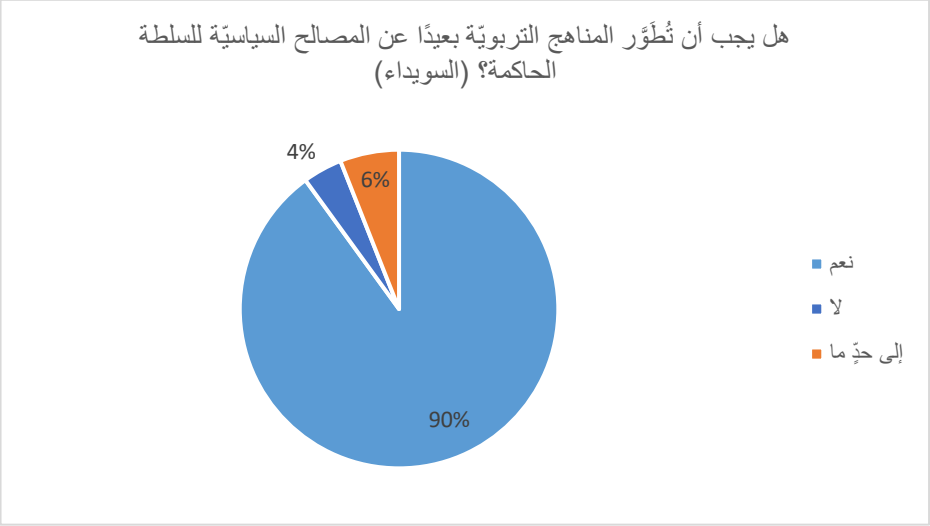

الرسم البياني 8: هل يجب أن تُطَوَّر المناهج التربوية بعيدًا عن المصالح السياسيّة للسلطة الحاكمة؟

II. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، الرقّة

السياق

تقع الرقّة حاليًا تحت سيطرة "الإدارة الذاتيّة لشمال وشرق سوريا"[22]، بعد أن تعاقبت على حكمها على مدى الاثنتي عشرة سنةً الماضية، سلطات متنازعة مختلفة بحكم الأمر الواقع. في العام 2011، كانت الرقّة خاضعة لسيطرة النظام السوري، قبل أن يسري فيها حكم فصائل المعارضة في العام 2013 بعد انسحاب قوّات النظام منها. ثمّ أصبحت المدينة تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلاميّة في العراق والشام (داعش) (ISIS) منذ العام 2014 حتّى شهر تشرين الثاني/نوفمبر من العام 2017. خلال العمليّات العسكريّة ضدّ داعش (ISIS)، تسبّبت الغارات الجويّة بتدمير ما يُقَدَّر بنحو 80% من البنية التحتيّة، بما في ذلك المرافق التعليميّة والمدرسيّة[23].

لمحة عن النظام التعليمي

انقسام المنهج

يختلف تمامًا المنهجان الدراسيّان في الرقّة وفي المناطق التابعة للإدارة الذاتيّة بشكلٍ عام. من ناحية، تتّبع الإدارة الذاتيّة منهجًا في مدارسها الرسميّة يتكوّن من مجموعتَين[24]: الأولى هي "منهج التعلّم الذاتي" الذي يستهدف الطلّاب الذين انقطعوا عن الدراسة؛ أمّا الثانية فهي المناهج العاديّة التي تتوفّر كتبها باللّغتين العربيّة والكرديّة[25]. ومن ناحية أخرى، يفضّل معظم طلّاب المدارس المتوسّطة والثانويّة في الرقّة دراسة منهج وزارة التربيّة التابع للنظام السوري والمُعتَمَد في المعاهد الخاصّة المنتشرة في المنطقة، ويقدّمون بعد ذلك امتحاناتهم في منطقة الصبخة[26] الخاضعة لسيطرة النظام السوري.

ويمكن تفسير هذا التوجّه من خلال ثلاثة أسباب أساسيّة: أوّلاً، يُعتبر عدد المدارس المتوسّطة والثانويّة التي تعتمد منهج الإدارة الذاتيّة وتدرّسه محدودًا؛ وثانيًا، إنّ معظم المعلّمين/المعلّمات في الرقّة موظّفون/موظّفات لدى النظام السوري ونظامه التعليمي؛ وثالثًا، يختار الكثير من الطلّاب/الطالبات وأسرهم دراسة مناهج النظام في المعاهد الخاصّة لأنّ شهادتها الأكاديميّة معترف بها في الخارج. قال أحد/إحدى الطلّاب/الطالبات في مجموعة نقاشٍ مركّزة (FGD): "أرى أنّ شهادة المدرسة الثانويّة الصادرة من "هنا" غير معترف بها في أي مكان آخر. أريد شهادةً معترف بها في أيّ مكان"[27]. ويدفع ما سبق الطلّاب/الطالبات إمّا إلى ترك المدارس التابعة للإدارة الذاتيّة بعد إتمام المرحلة الإبتدائيّة، أو الالتحاق بمعهد خاص عند الوصول إلى الصفّ الثامن والتاسع. عليه، إنّ عدم الاعتراف بالشهادة الصادرة عن المدارس التابعة لمناطق الإدارة الذاتيّة يمنح النظام السوري نوعًا من الشرعيّة في أذهان الطلّاب/الطالبات وذويهم/ذويهنّ، ويسفر عن ذلك توجّه مجتمعي لرفض المناهج الدراسيّة الحالية أو أي محاولة لتطويرها، ممّا يجعل العائلات تفضّل المخاطرة بوقتها ومالها ليقدّم أطفالها امتحانات الشهادات في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام.

---

[22] تشمل مناطق "الإدارة الذاتيّة لشمال وشرق سوريا" محافظة الحسكة ومحافظة الرقّة وأجزاء من محافظتَي حلب ودير الزور. وتسيطر عليها قوّات سوريا الديمقراطيّة، التي يقودها بشكل أساسي حزب الاتّحاد الديمقراطي الكردي.

[23] هل فعل الجيش الأميركي ما يكفي للحد من تدمير الرقّة؟، اندبندنت عربيّة، نُشر في 2022/04/02.

[24] خلال البحث الذي أجريناه لهذه الدراسة، تواصلنا مع الجهات الرسميّة لتزويدنا بنسخة من المناهج الدراسيّة المعتمدة في مدارس مناطق الإدارة الذاتيّة، إلّا أنّ الجهات التي تواصلنا معها تجاهلت طلبنا. وعند طلبنا الحصول على نسخة إلكترونيّة من المناهج، تردّدت هذه الجهات ورفضَت الطلب.

[25] خبير/خبيرة تربوي/تربويّة، في مقابلة مع مجموعة نقاش مركّزة (FGD) تضمّ معلّمين/معلّمات وخبراء/خبيرات في مجال التربية، 2023/06/02.

[26] الصبخة هي مدينة سوريّة تقع على بعد 30 كم شرق مدينة الرقّة، ولا تزال تحت سيطرة النظام السوري. تضمّ المدينة معهدًا تعليميًّا يتيح لطلّاب/طالبات الرقّة إجراء الامتحانات الوطنيّة للحصول على شهادتَي المرحلة المتوسطة والثانويّة. يتعيّن على الطلّاب/الطالبات السفر لمدّة ثلاث ساعات من الرقّة للوصول إلى المدينة.

[27] وفقًا لما قالته إحدى الطالبات في إطار مجموعة نقاش مركّزة (FGD) أُجرِيَت مع عدد من الطلّاب/الطالبات، في 2023/06/02

جودة النظام التعليمي

يفشل كلّ من النظام التعليمي في مناطق الإدارة الذاتيّة ونظام التعليم التابع للنظام السوري في توفير التعليم الجيّد. فالأوّل يفتقر إلى القدرات من حيث استيعاب عدد كبير من الطلّاب/الطالبات والموظّفين/الموظّفات[28] كما إلى المرافق التعليميّة مثل المكتبات والمختبرات، أمّا الثاني فيواجه نقصًا في الكوادر التعليميّة الكفوءة. بعد تحرير الرقّة من داعش (ISIS) بفترةٍ وجيزةٍ، منح النظام السوري "تسريح وقتي" للكوادر التعليميّة التي كانت تعمل قبل دخول داعش (ISIS) إلى المنطقة، وهذا يعني أنّها لا تستطيع العودة إلى ممارسة مهنتها إلّا بتكليفٍ من وزارة التربية. وقد ترك الكثير من المعلّمين/المعلّمات المهنة، إمّا خوفًا من الملاحقات الأمنيّة أو بسبب خفض الرواتب. نتيجةً لذلك وفي سبيل سدّ هذه الفجوة، تمّ توظيف جيل جديد من الكوادر التعليميّة من غير المؤهّلين الحائزين فقط على شهادات الدراسة الثانويّة في أفضل تقدير، ممّا أثّر سلبًا على جودة التعليم في المنطقة[29] بشكلٍ عام.

في هذا الصدد، تظهر مشكلةٌ أخرى ألا وهي توافر الكتب المدرسيّة، حيث يقوم معظم الطلّاب/الطالبات بشراء كتب النظام السوري ويحاولون إخفاءها وخداع المعنيّين عند نقاط التفتيش التابعة للإدارة الذاتيّة ليتمكّنوا من تهريبها. ويخشى الطلّاب/الطالبات مصادرة[30] كلّ هذه الكتب أو بعضها، فقد حدث أن تمّت مصادرة كتب التاريخ والتربية الوطنيّة[31]، ممّا يجعلهم يعتمدون على شراء النسخ المقرصنة التي تُباع في المكتبات كبديل لتجنّب تهريب مناهج النظام والتعرّض للاستغلال من قبل المهرّبين عند نقاط التفتيش، ويلجأ الكثيرون إلى استخدام الكتب الإلكترونيّة للدراسة على شاشات الهاتف المحمول[32].

إنّ لِوجود منهجَين دراسيَين مختلفين آثار مدمّرة على الطلّاب/الطالبات. وقد نقل أحد/إحدى المعلّمين/المعلّمات في إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD) ما يلي: *"تكمن المشكلة الكبرى التي نعاني منها في أنّ المدارس تدرّس منهجًا واحدًا، بينما تختبر الامتحانات مدى معرفة الطلاب بالمنهج الآخر. يدرس الطلّاب/الطالبات في مدارس الإدارة الذاتيّة منهجًا واحدًا ويتقدّمون لامتحاناتهم التي توضَع على أساس منهج آخر، وهذا الأمر لم يحدث في أي مكان في العالم، إلّا في الرقّة وإدلب. تخيّلوا المأساة التي نعيشها. تخيّلوا أنّ الطالب/الطالبة يدرس منهجًا واحدًا طوال العام، لكنّ يجب عليه تقديم امتحاناته وفقًا لمنهج آخر"*.

فضلًا عمّا سبق، ذكر الطلّاب/الطالبات الذين يدرسون في كتاب التربية الوطنيّة المُعتمد في مدينة الرقّة أنّ رؤيتهم لواقع مناطق سيطرة النظام مُشَوَّهة. قال أحد الطلّاب في مجموعة نقاش مركّزة (FGD): *"لا شكّ أنّ الأوضاع في مدينة حماة واللاذقيّة وباقي المدن أفضل من الأوضاع في مناطقنا"*[33]. إلّا أنّ الكثير من الطلّاب عبّروا عند تقديم امتحاناتهم عن صدمتهم حيال التناقض الشديد بين الصورة التي قدّمها الكتاب ووضع المدينة الخاضعة لسيطرة النظام.

وفي مجموعة نقاش أخرى مركّزة (FGD)، أفاد أحد/إحدى معلّمي/معلّمات مادّة التربية الوطنيّة[34] بالتالي: *"لقد سطّرتُ لطلّابي/طالباتي كلّ الأجزاء المهمّة، وكنت صريحًا/صريحةً معهم، فقلتُ لهم: أنتم ملزمون بحفظ هذه الأفكار لمدّة معيّنة وتخزينها في دماغكم وتدوينها على الورق، وعندما تنتهون من الامتحانات ستنسونها لأنّكم من الأساس غير مقتنعين/مقتنعات بها"*. وأضاف معلّم/معلّمة آخر/أخرى:

[28] استنادًا إلى معلومات منبثقة عن مقابلات متعدّدة أجريناها.

[29] مقابلة عبر تطبيق Zoom مع موظّف/موظّفة في لجنة التربية والتعليم في الرقّة، 2023/06/07.

[30] قال غالبية الطلّاب/الطالبات الذين قابلناهم أنّه تمّت مصادرة كلّ كتبهم أو بعضها عند نقاط التفتيش عندما عادوا بها بعد شرائها من المناطق الخاضعة لسيطرة النظام.

[31] مقابلة فردية معمّقة، 2023/05/25.

[32] مقابلة جماعيّة، 2023/06/03.

[33] مقابلة جماعيّة، 2023/06/02.

[34] مقابلة فرديّة عبر تطبيق Zoom، 2023/05/27.

"إنّ المفاهيم الواردة في الكتاب شيء والواقع شيءٌ آخر. نعلّم طلّابنا أمورًا لا تنطبق على واقعهم، ومن المستحيل لطالب/طالبة في هذا العصر أن يتمكّن من التوفيق بين مثل هذه التناقضات[35]".

وردًّا على السؤال "هل تقدّم المدارس خدمات تعليميّة كافية لتوفير تعليم جيّد للطلّاب/الطالبات؟"، أفاد 65% من الآباء والأمّهات الذين تمّت مقابلتهم في الدراسة الاستقصائيّة أنّ المدارس لا تقدّم خدمات تعليميّة كافية.

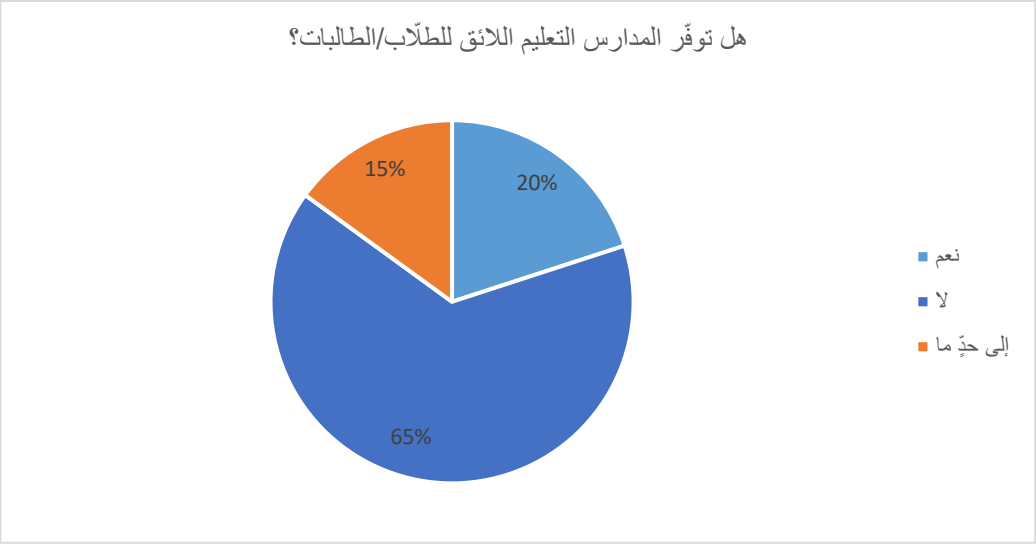

الرسم البياني 9: هل توفّر المدارس التعليم اللائق للطلّاب/الطالبات؟

صرّح أحد الآباء/الأمهات في مجموعة نقاش مركّزة (FGD) بالتالي: ***"في الواقع، أنا غير قادر على إقناع أطفالي بقيمة التعليم بشكل عام، أمّا بالنسبة لمستوى المعلّمين/المعلّمات المسؤولين/المسؤولات عن التعليم، فهم لا يتمتّعون بالكفاءة المطلوبة وليسوا مؤهّلين/مؤهّلات لتعليم أطفالنا[36]".***

باختصار، يشوب المشهد التعليمي في الرقّة تحدّياتٌ كبيرة تكمن في أنظمة مدارس نظام الإدارة الذاتيّة ومدارس النظام السوري. يواجه الأوّل قيودًا على القدرات ونقصًا في الكوادر المؤهّلة وعجزًا كبيرًا في المرافق، في حين أنّ الثاني يعاني من الافتقار إلى معلّمين/معلّمات أكفّاء ومن اعتماد منهج تعليمي غير مترابط. إنّ وجود منهجَين دراسيَين يؤدّي إلى تعقيد التعليم للطلّاب/الطالبات، ممّا يخلق مفاهيم وتصوّراتٍ غير حقيقيّة ويخلق حالةً من عدم الاقتناع. ويعرب الأهالي عن عدم رضاهم عن جودة التعليم، حيث يشير الكثيرون إلى غياب المعلّمين/المعلّمات الذين يتحلّون بالكفاءة.

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs)

بعد تحرير محافظة الرقّة في العام 2017، ظهر فيها الكثير من منظّمات المجتمع المدني (CSOs) المحلّية للمساعدة في ترميم المدارس وإعادة تأهيلها بالتعاون مع المنظّمات الدولية وبالشراكة مع لجنة التربية والتعليم. وقد قدّمت منظّمات المجتمع المدني (CSOs) الدعم النفسي والرعاية الشخصيّة للأشخاص ذوي الإعاقة، وحرصت على إمكانيّة إعادة تأهيل المدارس بشكلٍ شامل وعملت على إعادة

[35] مقابلة جماعيّة، 2023/06/03.
[36] مقابلة جماعيّة، 2023/06/02.

إدماج الأطفال الذين توقّفوا عن الدراسة في النظام المدرسي. ومع ذلك، كانت معظم هذه الجهود مقيّدة من حيث مداها ومدّتها، ولم تلتزم باستمرار بمعايير الجودة الموحّدة. بالتالي، ظهرت تفاوتات بين المدارس داخل المدينة الواحدة وزادت المنافسة في تقديم رواتب مغرية للمعلّمين/المعلّمات، ما أسفر عنه آثار سلبيّة على المدارس التابعة للإدارة الذاتيّة. وينبغي الإشارة إلى أنّه يُنظر عادةً إلى المدارس التي تدعمها منظّمات المجتمع المدني (CSOs) على أنّها تعتمد بشكل كبير على المساعدات الخارجيّة وتفتقر إلى الاستدامة. وفي الختام، لم يتمكّن المجتمع المدني من المساهمة في تطوير النظام التعليمي في الرقّة وتحسينه.

العنف في النظام التعليمي

ظاهرة منتشرة

خلال مجموعات النقاش المركّزة (FGDs)، ذُكِر العنف كعاملٍ إضافي يدفع الطلّاب/الطالبات إلى عدم الالتحاق بالمدارس التابعة للإدارة الذاتيّة. وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ العنف الممارس ضدّ الطلّاب/الطالبات لا يُعدَّ ظاهرةً جديدة، بل هو جزءٍ لا يتجزّأ من النظام التعليمي الذي أسّسه حافظ الأسد. يقول أحد/إحدى المعلّمين/المعلّمات: "*إنّ المدارس القائمة (...) أشبه بمراكز الاحتجاز لا المدارس، ولو لم تكن بالفعل كذلك لما استخدمها كلّ من النظام وداعش (ISIS) كمراكز اعتقال ونقاط عسكريّة*[37]*.*" في هذا الخصوص، لعلّه من المفيد التطرّق إلى أنّ النظام التعليمي تحكمه علاقات هرميّة تُعتبر امتدادًا للطبيعة الهرميّة والذكوريّة للنظام السوري.

تبدأ ممارسات العنف المستوحاة من التعليم العسكري، من فرض الالتزام الصارم بالزيّ المدرسي وتسريحة الشعر، مرورًا بحظر أي استعمال لمستحضرات التجميل، وصولًا إلى إهانة الطالبات علنًا أمام أقرانهنَّ في حال تبرّجنَ، فضلًا عن استعمال المعلّمين/المعلّمات وسائل السيطرة القسريّة على الطلّاب/الطالبات وممارسة الاعتداء الجسدي. يبرز البُعد الجنساني لهذا العنف بشكلٍ واضح، وقد ذكرت إحدى الطالبات اللواتي أُجريت مقابلات معهنَّ أنّها تركت مدرسة تحكمها الإدارة الذاتيّة بسبب هذا العنف وقالت: "*كنّا عندما ندخل المدرسة، تجبرنا إحدى المعلّمات أو المديرة على غسل وجوهنا أمامها لتتأكّد أنّنا لسنا متبرّجات*" وأضافت طالبةٌ أخرى: "*يُمنع عليّ أن أبتسم خلال ساعات الدراسة، لدرجة أنّ إحدى المعلّمات ضربتني ذات مرّة واتّهمتني بقلّة الأدب والوقاحة عندما ابتسمت*".[38]

لقد أثّر النظام العسكري الموروث من مدارس النظام السوري والمفروض في مدارس الإدارة الذاتيّة سلبًا على العلاقة بين الأهالي والمؤسّسات التعليميّة. وقد ذكر أحد الأهالي في إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD) التالي: "لا تُعلّم المدرسة القيم على المستويَين السياسي والأخلاقي، وتتبع المشكلة بالدرجة الأولى من أخلاق المعلّمين/المعلّمات وسلوكيّاتهم/سلوكيّاتهنَّ فهم يستخدمون كلمات بذيئة ويعاملون الطلّاب/الطالبات معاملةً سيّئةً للغاية، وثمّة حالات تنمّر واضحة بحقّ الطلّاب/الطالبات[39]".

تأثيرات نظام التعليم على الصحّة النفسيّة للطلّاب/الطالبات

وفق ما نقله 57٪ من الأهالي (الإناث والذكور بنسبٍ مماثلة)، يعاني أطفالهم/أطفالهنَّ من الاكتئاب بسبب الوضع العام للنظام التعليمي، ممّا يدلّ على مشكلةٍ بالغة الأهمّيّة تكمن في تجاهل النظام التعليمي الصحّة النفسيّة للطلّاب/الطالبات والصدمات التي يتعرّضون لها. إذًا، تعكس هذه الإحصائيّات واقعًا مريرًا حيث يبدو الرفاه العاطفي للطلّاب/الطالبات مهملًا ضمن الإطار التعليمي. لقد فشل النظام في تناول التأثير النفسي لأوجه القصور التي ينطوي عليها أو الاعتراف بها، كالتباينات في المناهج الدراسيّة، وعدم كفاية الموارد، والتحدّيات

[37] مجموعة نقاش تضمّ معلّمين/معلّمات والطاقم الإداري بتاريخ 2023/06/04.
[38] مقابلة جماعيّة أُجريت بتاريخ 2023/06/03.
[39] مجموعات نقاش مركّزة (FGD) بتاريخ 2023/06/03.

التي يُواجهها الطلّاب/الطالبات الذين يدرسون تحت حكم سلطات مختلفة، وينمّ ما سبق عن عجزٍ ملحوظ في إيلاء الأولويّة للرفاه الكامل للطلّاب/الطالبات. ففي أي بيئة تعليميّة شاملة ومريحة، يجب أن يُعتبر دعم الصحّة النفسيّة للطلّاب/الطالبات أمرًا أساسيًّا، لما لها من انعكاسٍ مباشر على نجاحهم الأكاديمي ورفاههم بشكل عام.

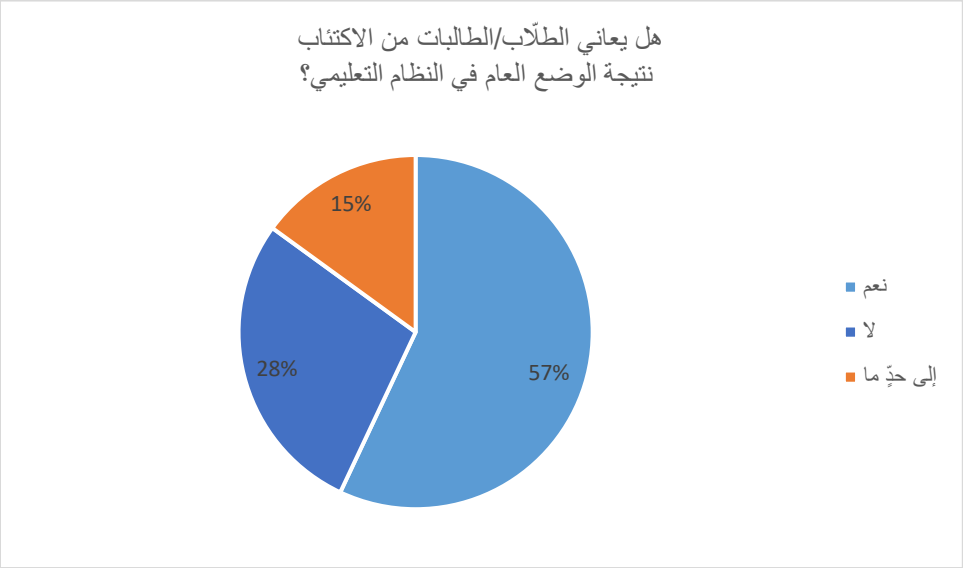

الرسم البياني 10: هل يعاني الطلّاب/الطالبات من الاكتئاب نتيجة الوضع العام في النظام التعليمي؟

التمييز وعدم الإدماج

القوميّة العربيّة

ورد في مقدّمة كتاب التربية الوطنيّة للصفّ التاسع الصادر عن وزارة التربية التابعة للنظام السوري[40] (طبعة 2013/2012) أنّ الكتاب يسعى إلى بناء أفراد وطنيّين يؤمنون بقضايا الأمّة العربيّة ويدافعون عنها، كما إلى تسليح الطلّاب/الطالبات بالمعارف ذات الصلة بالمجتمع المدني ومبادئه ونشأة الدولة وأُسُسِها وتاريخ تطوّر الفكر السياسي في المجتمعات. كذلك، يهدف الكتاب إلى تعريف الطلّاب/الطالبات بالأجزاء المحتلّة من الوطن العربي ومعنى الانتماء للوطن والهويّة الوطنيّة. وإنّ مجرّد الإشارة إلى المجتمع باسم "المجتمع العربي" يعزّز فكرة التفوّق العرقي للعرب على مكوّنات المجتمع السوري الأخرى. ويُعرَّف أفراد المجتمع السوري في ما بعد على أنهم "المتميّزون بصدق انتمائهم والتزامهم بالقضايا الوطنيّة والقوميّة".[41]

في الإطار عينه، يتناول عنوان "أصالة المجتمع"[42] التنوّع العرقي والديني، حيث توصف العروبة بأنّها عنصر جوهري في الهويّة: لقد "تفاعل الوافدون الجدد مع المجتمع السوري وانصهروا في هويّته الثقافيّة المشتركة، وهي القوميّة العربيّة. تقوم هذه الهويّة على فكرةٍ مفادها أنّ العروبة هي رابطة ثقافيّة حضاريّة، تشكّل اللغة العربيّة أهمّ عناصرها"[43].

وينبغي الإضاءة على أنّ كتاب التاريخ ينقل الأيديولوجيّة نفسها. فقد أشار أحد المشاركين/المشاركات في المقابلة المعمّقة إلى أنّ "كتاب التاريخ يسلّط الضوء على الطابع العربي لسوريا ويغفل عن التنوّع العرقي والعنصري في مجتمعها". على سبيل المثال، عند شرح كيفيّة

[40] التربية الوطنيّة، الصفّ التاسع، وزارة التربية السوريّة، الطبعة الأولى 2013/2012، صفحة 5.
[41] كتاب التربية الوطنيّة، الفصل الأوّل، الدرس الأوّل.
[42] كتاب التربية الوطنيّة، الفصل الأول، الدرس الثالث.
[43] كتاب التاريخ، صفحة 114.

التعامل مع الوثائق التاريخيّة وفهمها، يستخدم الكتاب صورة بطاقة هويّة لمواطن سوري من مدينة الإسكندرونة (التي كانت تاريخيًّا جزءًا من سوريا قبل استيلاء تركيا عليها) للتأكيد على أنّ المدينة عربيّة، بدلًا من التشديد ببساطة على أنّها كانت تاريخيًّا جزءًا من سوريا[44].

اللغة كعامل تفرقة

بالمثل، يُعبَّر عن اللغة العربيّة في الكتابَيْن الصادرَيْن عن وزارة التربيّة على أنّها عنصر أساسي للانتماء، وبالتالي، يتمّ تهميش جميع اللغات الأخرى المستخدمة في البلد. ويُعتبر منهج اللغة العربيّة الصادر عن وزارة التربية "مكثّفًا وصعبًا للغاية على الطلّاب/الطالبات". على سبيل المثال، يدرس الطلّاب/الطالبات في المراحل الأولى من المدرسة الإعداديّة الشعر الجاهلي، ما يشكّل تحدّيًا إضافيًّا للذين/اللواتي تُعَدُّ الكرديّة لغتهم الأم[45].

كذلك، استذكر المشاركون/المشاركات في مجموعات النقاش المركّزة (FGDs) الكثير من حوادث الاستقطاب والتمييز على أساس العرق بين الطلّاب/الطالبات من خلفيّات عربيّة وكرديّة في مدارس الإدارة الذاتيّة. أوّلًا، تمّ فرض اللغة الكرديّة كلغة أساسيّة في المنهج التعليمي يتعلّمها جميع الطلّاب/الطالبات، وهو سبب إضافي لإحجام الطلّاب/الطالبات عن الدراسة هناك. وقد أكّد أحد/إحدى المعلّمين/المعلّمات في إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD) ما يلي: "لقد واجهنا كمعلّمين/معلّمات للغة الكرديّة ردّ فعلٍ عنيفًا من الطلّاب/الطالبات ورفضًا منهم/منهنّ عندما تمّ الإعلان عن قرار اعتماد اللغة الكرديّة كلغة أساسيّة، وامتنع عددٌ كبيرٌ منهم/منهنّ عن التفاعل داخل الصف، خاصّةً العرب. ففي صفٍّ يضم 30 طالبًا/طالبةً، لن تجد أكثر من عشرة طلّاب/طالبات مستعدّين لتعلّم اللغة الكرديّة، بينما يُصرّ الآخرون على رفض تعلّمها ورغبتهم في مغادرة الصف[46]".

وذكرت إحدى الطالبات أيضًا خلال إحدى مجموعات النقاش المركّزة (FGD) التالي: "كان الطلّاب/الطالبات الأكراد يجلسون في الصف في المقاعد الأماميّة، ويُطالب بعضهم "الآخرين" بالتحدّث باللغة الكرديّة حتى لو كانوا لا يُجيدون سوى اللغة العربيّة. ونتيجةً لذلك، يتمّ فصل الطلّاب/الطالبات اليوم، فالأكراد لا يختلطون سوى مع بعضهم البعض، وينطبق الأمر نفسه على العرب منهم[47].

تهميش المنطقة في السرديّة الوطنيّة

يتغاضى كتاب التاريخ الصادر عن وزارة التربية عن دور منطقة شمال شرق سوريا، إذ ذُكرت المنطقة كامتداد اقتصادي لمدينة حلب فحسب واعتُبرت "منفى فخري البارودي في عهد الانتداب الفرنسي على سوريا". ولم يُشار إلى دور المنطقة في معاهدة سيفر أو خلال مؤتمر الصلح في باريس في العام 1919. ونقل أحد/إحدى المشاركين/المشاركات في مقابلة معمّقة التالي: "يضمّ إقليم الجزيرة أبطالًا قاوموا ضدّ الاحتلال الفرنسي، مثل رمضان باشا شلاش الذي لم يتمّ ذكره، كما لم يتمّ ذكر أي شكل من أشكال المقاومة ضدّ الاحتلال الفرنسي في هذه المنطقة."

كذلك، اعتمد كتاب التاريخ تسمية دولة جبال اللاذقيّة ودولة جبل العرب، على الرغم من أنّ الوثائق التاريخيّة تشير إلى أنّ هاتين المنطقتين يُطلق عليهما" الدولة العلويّة" و"دولة جبل الدروز"، لكنّ ذلك جاء تجنّبًا للحديث عن الطوائف والأعراق المختلفة بل لدمجها جميعًا في هويّة واحدة مزعومة.

---

[44] كتاب التاريخ، الصفحة 15.
[45] معلّمة/معلّم، مقابلة مركّزة مع معلّمين/معلّمات وخبراء/خبيرات في المجال التربوي، أُجريت بتاريخ 2023/06/02.
[46] مقابلة جماعيّة بتاريخ 2023/06/03.
[47] اقتباس من أحد الطلّاب/الطالبات المشاركين/المشاركات في مناقشة جماعيّة للطلّاب/الطالبات أُجريَت بتاريخ 02/06/2023.

الدِين

أمّا في ما يتعلق بالتنوّع الديني والتعدّدية في المجتمع السوري، فيورد كتاب التاريخ الحديث عن الكثير من الشخصيّات التاريخيّة التي لعبت دورًا بارزًا في التنمية الاقتصاديّة للبلد، غير أنّ المنهج يحصر النقاش حول التنوّع الديني في سوريا في البعد الإسلامي المسيحي، وهو ما تمّ تأكيده من خلال ذكر طريقيّ الحجّ الإسلامي والمسيحي في سوريا.

في المقابل، يؤكّد 67% أنّه لا ينبغي فصل المناهج التعليميّة عن التأثيرات الدينيّة.

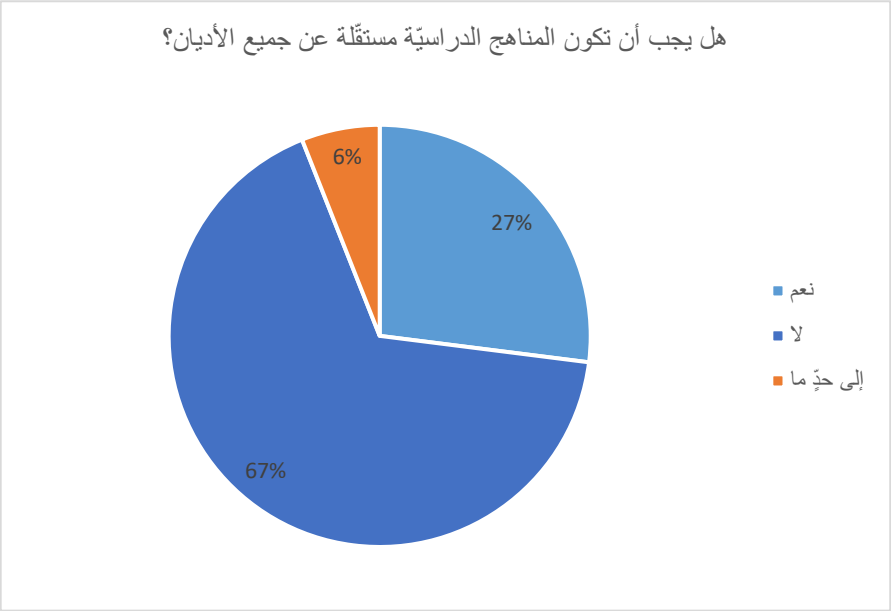

الرسم البياني 11: هل يجب أن تكون المناهج الدراسيّة مستقّلة عن جميع الأديان؟

الإدماج والمساواة بين الجنسَيْن في المناهج الدراسيّة

دور المرأة في تاريخ سوريا

صحيحٌ أنّ منهج التاريخ المنقّح يصوّر في الغالب النساء كشخصيّات مساعدة للرجال، إلّا أنّه يورد أيضًا قصّة نازك العبد مسلّطًا الضوء عليها كرمز للمرأة المقاومة خلال فترة الانتداب الفرنسي. بالإضافة إلى ذلك، يقدّم المنهج وصفًا لحركة المقاومة النسائيّة في جبال اللاذقيّة، ويشبّهها بالنضال الثوري للشيخ صالح العلي ضدّ الانتداب الفرنسي. ويذكر الكتاب زوجة الشيخ صالح العلي كنموذج تحتذي به النساء الأخريات[48]، مكرّمًا نساء اليوم في المناطق الساحليّة التي تُعتبر معقلًا للنظام خلال الصراع. لكن، يتغاضى الكتاب تمامًا عن النشاط التاريخي للمرأة السوريّة في بقيّة المحافظات السوريّة ونضالها ضدّ الانتداب الفرنسي، إلى جانب الحركة النسويّة على امتداد التاريخ السوري.

ويشير كتاب التاريخ أيضًا إلى شخصيّات مثل مقبولة شلق، والأديبة قمر الكيلاني، وسلمى الحفّار، وثريّا الحافظ، وعائشة الدباغ، والنساء اللواتي حاولن دخول البرلمان. لقد عملن جميعهنَّ في فترة ما قبل تولّي حافظ الأسد السلطة وفي مواضيع وثيقة الصلة بزوجة بشّار

[48] كتاب التاريخ، الصفحة 53.

الأسد، أي أسماء الأسد، التي صار يتمّ التعريف عنها لاحقًا على أنها "حامية الشباب". ولا يتضمّن الكتاب أسماء نساء أخريات مؤثّرات أو فاعلات خلال فترة حكم الأسد، سواء الأب أو الابن.

التحرّش الجنسي مقابل التربية الجنسيّة

كشف 58% من الأهالي في الدراسة الاستقصائيّة عن معرفتهم المباشرة بحالات تعرّض الطلّاب/الطالبات للتحرّش الجنسي داخل المدارس، أو تلقّيهم تقارير عن ذلك.

وعلى الرغم من هذا الإعلان المقلق، فقد ظلّت نسبة 73% من هؤلاء الأهالي تعارض إدراج المواد المتعلّقة بالتربية الجنسيّة في المناهج الرسميّة. يمكن أن يُعزى جزء من هذا التناقض بين التوعية بقضية ملحّة ورفض معالجتها من خلال التعليم، إلى الميول الدينيّة المحافظة المتجذّرة في المدينة. في الخلاصة، يعكس ما سبق التوتّر الأعمّ القائم على صعيد الاعتراف بالتحدّيات المجتمعيّة والمخاوف المرتبطة بطرح التربية الجنسيّة الشاملة، الأمر الذي غالبًا ما يثير الجدل بسبب تداعياته المُتوَقَّعة على القيم الدينيّة والثقافيّة.

التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا)

يبدأ كتاب التربية الوطنيّة بتعريف الانتماء الوطني على أنّه "الرابط الذي يجمع المواطن/المواطنة بوطنه/وطنها ويتجاوز أي علاقات قبليّة أو عشائريّة... ليصل إلى المشاركة في المناسبات والأعياد الوطنيّة". بالتالي، يوجّه هذا التعريف رسالةً مفادها أنّ أولئك الذين شاركوا في الاحتجاجات منذ العام 2011 وما بعد وتبنّوا راية الاستقلال ورفضوا النشيد الوطني للنظام، قد أصبحوا الآن مستبعدين من الهويّة الوطنيّة الجماعيّة.

ويعرّف كتاب التربية الوطنيّة رئيس النظام السوري على النحو التالي: "لقد أصبح بشّار الأسد رئيسًا بعد استفتاء أُجري في العام 2000، وقد أصرّ على استعادة كامل الأراضي العربيّة المحتلّة وهضبة الجولان المحتلّة. عمل على تعزيز علاقات سوريا الدوليّة، وبدأ في عهده عصر الانفتاح والتطوّر واستخدام التكنولوجيا وتقنيّات المعلومات، كما ارتفع متوسّط دخل الفرد، وانطلقت العديد من الاستثمارات الاقتصاديّة، وبرزت الصحافة الحديثة، وانخفضت معدّلات البطالة. وعندما واجهت سوريا في العام 2011 ضغوطًا خارجيّة هائلة، أثبت الشعب السوري وحدته وحكمه السليم، حيث حافظ على مؤسّسات الدولة وحماها، كما التفّ الجميع حول القائد لدعمه في تجاوز هذه الأزمة".

III. دراسة حالة: المنهج التربوي السوري، إدلب

السياق

تقع مدينة إدلب شمال غرب سوريا، وهي من أولى المدن التي خرجت عن سيطرة النظام السوري بعد اندلاع الثورة في العام 2011. منذ العام 2012، خضعت حلب لسيطرة مجموعات مسلّحة مختلفة من المعارضة التي أدارت المدينة في البداية. ثمّ أدّى التعدّد المتزايد لهذه المجموعات إلى بروز ظروف صراع داخلي مواتية لظهور الجماعات الدينيّة المتطرّفة مثل داعش (ISIS). وفي النهاية، تشكّلت هيئة تحرير الشام (HTS) في كانون الثاني/يناير 2017، وسيطرت عسكريًّا بشكلٍ كامل على إدلب في العام 2019 بعد أن قامت بتحييد تهديدات الجماعات المسلّحة الأخرى.

كان لوجود هيئة تحرير الشام (HTS) تداعيات سلبيّة جمّة على إدلب، لا سيّما وأنّها مدرجة على قائمة المنظّمات الإرهابيّة الخاصّة بالولايات المتّحدة والدول الغربيّة الأخرى. كذلك، أعطت الهيئة (HTS) النظام السوري وحلفائه ذريعةً لزيادة حملات القصف على إدلب بحجّة أنهم يقاتلون الإرهابيّين الجهاديّين، ممّا تسبب في مزيد من النزوح السكّاني والتدمير للبنية التحتيّة.

في الوقت الراهن، تعاني إدلب من وضع هشّ للغاية، حيث يعيش معظم سكّانها في مخيّمات اللاجئين ويُحرمون من الخدمات الأساسيّة وظروف العيش الكريم. وبالفعل، ارتفع عدد سكّان المدينة من 1.25 مليون نسمة عام 2004 إلى 3.5 مليون نسمة بحلول العام 2021.

لمحة حول النظام التعليمي

يُقَدَّر عدد الأطفال المتسرّبين من المدارس في شمال غرب سوريا ب 315 ألف، يُجبَر 85% منهم/منهنّ على العمل في وظائف خطرة. وبينما يحقّ ل 345 ألف طفل/طفلة الالتحاق بالمدارس، لا يمكن سوى لما يقارب 260 ألف أن يحظوا بهذه الفرصة، لا سيّما أنّ المدارس والمستشفيات تُشكّل أهدافًا رئيسيّة للقصف من قِبَل النظام السوري والروسي. على سبيل المثال، أظهرت دراسة أجرتها جمعيّة إنقاذ الطفل أنّه في العام 2020، وفي غضون 90 يومًا فقط، دمّرت القذائف 217 مدرسة. وقد ازداد هذا الواقع سوءًا جرّاء زلزال شباط/فبراير 2023 الذي دمّر 11 مدرسة إضافيّة وأجبر 395 طفلًا على ترك التعليم.

يمكن أيضًا تفسير عدم التحاق الأطفال بالمدارس نتيجةً للفقر المدقع الذي تُعاني منه المنطقة والظروف المعيشيّة الصعبة منذ أن أضحت إدلب مركزًا للنازحين وعمليّات القصف، ممّا أدى إلى وفاة الكثير من مُعيلي/معيلات الأسر. وهنا يمكن تقسيم الطلّاب/الطالبات في إدلب إلى فئتين، الأولى تضمّ أولئك القادرين على الوصول إلى مدارسهم، والثانية تضمّ الذين يواجهون صعوبات جمّة في ذلك كونهم يعيشون في مخيّمات على أطراف مدينة إدلب.

جودة النظام التعليمي

يوجد نوعان مختلفان من المخيّمات هما: المخيّمات المنظّمة والمخيّمات المتفرّقة. يستطيع الأطفال في المخيّمات المنظّمة الوصول بشكلٍ أسهل نسبيًّا إلى المدارس القريبة، والتي غالبًا ما تقع داخل المخيّم أو بالقرب منه، حيث يمكن للمنظّمات المحلّيّة أو الوطنيّة أو الدوليّة تقديم الدعم المالي للمعلّمين/المعلّمات. ومع ذلك، لا يجد الكثيرون أنّ هذا الراتب كافي ويُجبرون على ترك مجال التدريس لتولّي وظائف ذات رواتب أفضل. في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أنّ وزارة التربية التابعة لحكومة هيئة تحرير الشام (HSI) هي التي تضع المنهج الدراسي بشكل أساسي، والنتيجة هي منهج دراسي تمّ تنقيحه في العام 2015، مستمَدّ من المناهج الدراسيّة لنظام الأسد، لكن تمّ فيه استبدال مادّة التربية الوطنيّة بالتربية الإسلاميّة، ما أدّى إلى تكثيف التركيز على الفروق الدينيّة. علاوةً على ذلك، تمّ إدخال اللغة التركيّة إلى المناهج الدراسيّة، وتلتزم جميع الصفوف الدراسيّة بوجهة النظر الحكوميّة السائدة حول الثورة السوريّة، وذلك بما يتماشى مع الأيديولوجيّة الدينيّة التمييزيّة والعسكريّة المتحيّزة لهيئة تحرير الشام (HTS).

في المقابل، تبرز أيضًا المخيّمات المنتشرة بشكلٍ عشوائي والتي يواجه فيها الأطفال صعوبة في الوصول إلى المدارس لأنّ خيامهم تكون متباعدة جدًّا وبالكاد مأهولة بحيث لا يمكن اعتبارها مخيّمًا رسميًّا للاجئين. في هذه الحالات، تقوم النساء اللواتي كنَّ أنفسهنَّ يعلّمنَ تحفيظ القرآن قبل الثورة في المساجد بتعليم الفتيات الصغيرات اللغة العربيّة، بهدف حفظ القرآن. ويُمارس هذا التعليم الأيديولوجي خارج أي إطار تعليمي رسمي يتمّ تدريسه في إدلب، ممّا يؤثّر على فكر الفتيات الصغيرات.

يُعتبر قسم الشريعة أحد فروع نظام التعليم الذي أنشأته هيئة تحرير الشام (HTS) لمراقبة عمليّة التدريس، وهو جانب آخر من جوانب المراقبة الاستبداديّة التي تغرس الخوف في نفوس المعلّمين/المعلّمات من التفوّه بأي أمر خاطئ، مع تركيز على الشريعة الإسلاميّة. لقد جرى تغيير المناهج الدراسيّة الحاليّة من قبل الحكومة الانتقاليّة بشكل أساسي، قبل أن تسيطر هيئة تحرير الشام (HTS) على إدلب، غير أنّ هذه الأخيرة عدّلت المناهج الدراسيّة لتتناسب والنظام التعليمي المبني على الشريعة. ومن المهمّ التنويه بأنّ هوذه الدراسة ستعمل على تحليل محتوى هذه المناهج وعواقبه.

دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs)

لا يزال من الصعب جدًّا تحديد دور منظّمات المجتمع المدني (CSOs) في إدلب. وفي ظلّ الحوكمة المجزّأة والعناصر الأيديولوجيّة الراسخة في المناهج الدراسيّة، ليس من السهل على المنظّمات غير الحكوميّة ومنظّمات المجتمع المدني (CSOs) إحداث تغييرٍ حقيقيّ في هذه المناهج. إنّ السيطرة الفعليّة لمختلف الجماعات المسلّحة، بما في ذلك هيئة تحرير الشام (HTS)، تُصعّب على الجهات غير الحكوميّة التدخّل في المناهج الدراسيّة. كذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ التأثير الواسع للمكوّنات الدينيّة والأيديولوجيّة في المنهج الدراسي، إلى جانب القبول المجتمعي لبعض الممارسات، تُعَسِّر أن يكون لمنظّمات المجتمع المدني (CSOs) تأثير حقيقي على المنهج وتعديلاته المحتملة.

العنف في النظام التعليمي

يختلف نظام التعليم في إدلب عن المناطق الأخرى التي تتناولها هذه الدراسة، إذ أنّ هذه المنطقة تعرّضت للقصف باستمرار. لقد اختبر معظم الطلّاب/الطالبات المشمولين في هذه الدراسة العنف منذ سنّ الخامسة عندما اندلعت الانتفاضة.

ويستمرّ هذا العنف في القاعات الدراسيّة حيث أنّ الكثير من أنظمة العقاب تقوم على العقاب الجماعي. وهذا يعني أنّه في حال ارتكب أحد/إحدى الطلّاب/الطالبات خطأً ما، تتمّ معاقبة جميع الطلّاب/الطالبات. نتيجةً لذلك، تعلّم طريقة التدريس هذه الطلّاب/الطالبات أنّهم سيُعَاقبون في جميع الأحوال، كما تشجّع على خرق المزيد من القوانين وضرب العلاقة الصحّيّة بين الطلّاب/الطالبات والمعلّمين/المعلّمات. ومن الملحوظ أنّ هذا الأسلوب متوارث مباشرةً من العادات التعليميّة لنظام الأسد.

يُمارس العنفَيْن الجسدي والنفسي داخل القاعات الدراسيّة، وقد شدّد أحد/إحدى الطلّاب/الطالبات على التأثير السلبي الذي يمكن أن يسبّبه العقاب النفسي على صحّته العقليّة، مشيرًا إلى أنّه يتخوّف من أن يعلم والداه بسوء سلوكه، إذ قد يكون لذلك عواقب وخيمة للغاية عليه في المنزل. إنّ سماح هيئة تحرير الشام (HTS) بحدوث هذا العنف ينطوي أيضًا ضمن سياق الذكوريّة، لأنه يسمح بمعاملة أفراد المجتمع المهمّشين مثل النساء والأطفال بعنف. وفي الدراسة الاستقصائيّة التي أُرسلت إلى أسر الطلّاب/الطالبات، تبيّن أنّ 65% منهم (27 امرأة و38 رجلًا) يعتقدون أنّ هذا العنف يشكّل رادعًا سلبيًا لتعلّم أطفالهم (يُرجى مراجعة الرسم البياني 15).

يولّد هذا النوع من العنف مزيدًا من العنف في المجتمع. في الواقع، أفاد 23% من الأهالي الذين أُجريت معهم مقابلات أنّ أطفالهم عانوا من التنمّر في المدرسة من قبل الطاقم التعليمي (10%) أو تعرّضوا إلى درجة معيّنةٍ منه (13%) (يُرجى مراجعة الرسم البياني 12). وعليه، فإنّ 80% من الأهالي المشمولين في الدراسة الاستقصائيّة لم يروا أنّ المناهج الدراسيّة تنطوي على عنف، ممّا يشير إلى تقبّل العنف في المجتمع إلى حدّ ما. وبالمثل، ذكر حوالى 54% من الأهالي الذين تمّت مقابلتهم أنّ العقاب الإداري المستخدم في المدارس إمّا فعّال (18%) أو فعّال إلى حدّ ما (36%) (يُرجى مراجعة الرسم البياني 14)، واعتبر نصفهم أنّ العقاب في المدارس يردع

الطلّاب/الطالبات عن ارتكاب الأخطاء (يُرجى مراجعة الرسم البياني 13)، بينما عبّر 65% من الأهالي أنّ العقاب والضرب يؤثّران سلبًا على التعلّم (يُرجى مراجعة الرسم البياني 15). في السياق عينه، أفاد 72% من الأهالي، وهي نسبةٌ مقلقة، أنّ أطفالهم يعانون من الاكتئاب بسبب النظام التعليمي (يُرجى مراجعة الرسم البياني 16). وفي نفس الصدد، لا يمكن تجاهل الأزمة الإنسانيّة التي تلوح في الأفق في إدلب، والتي يمكن أن تكون سببًا إضافيًّا لارتفاع مستويات الاكتئاب وتطبيع العنف.

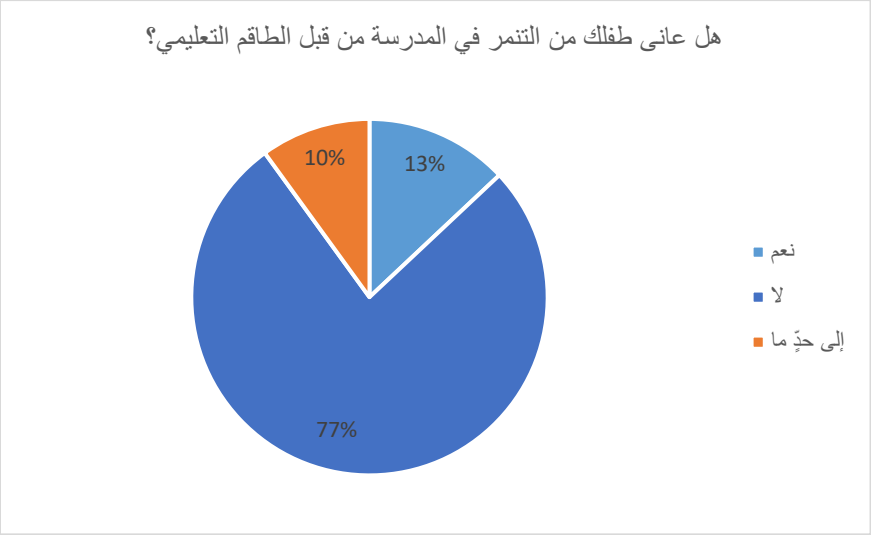

الرسم البياني 12: هل عانى طفلك من التنمر في المدرسة من قبل الطاقم التعليمي؟

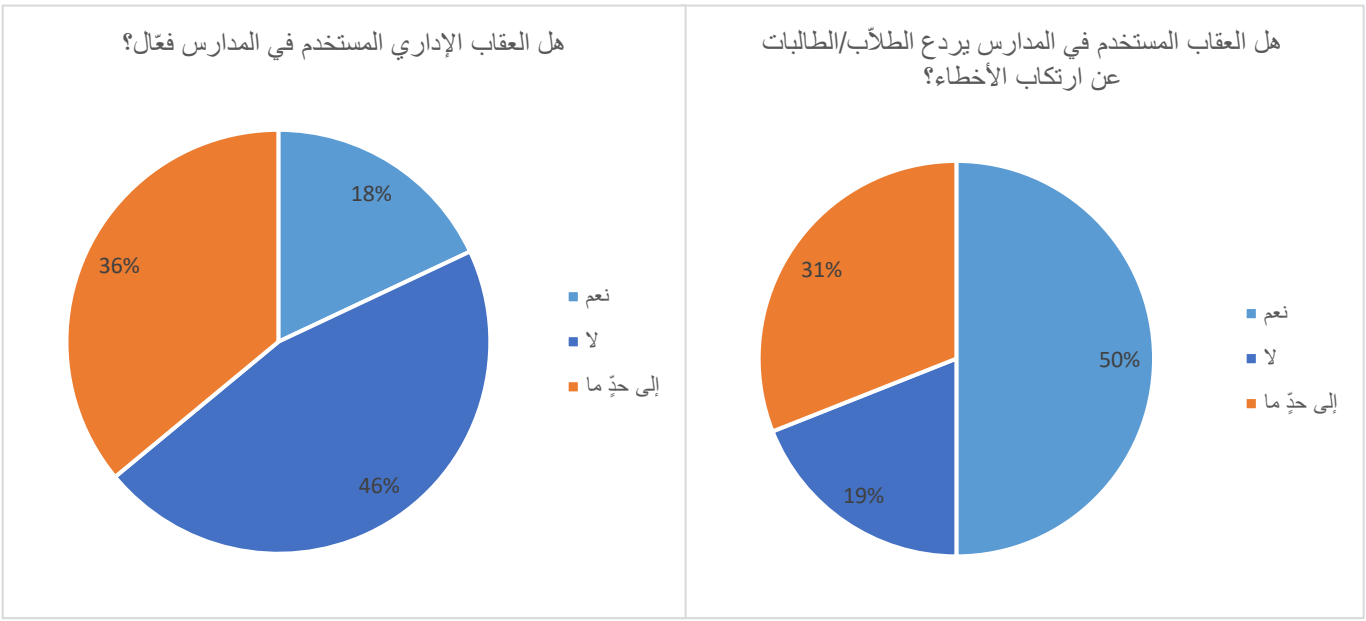

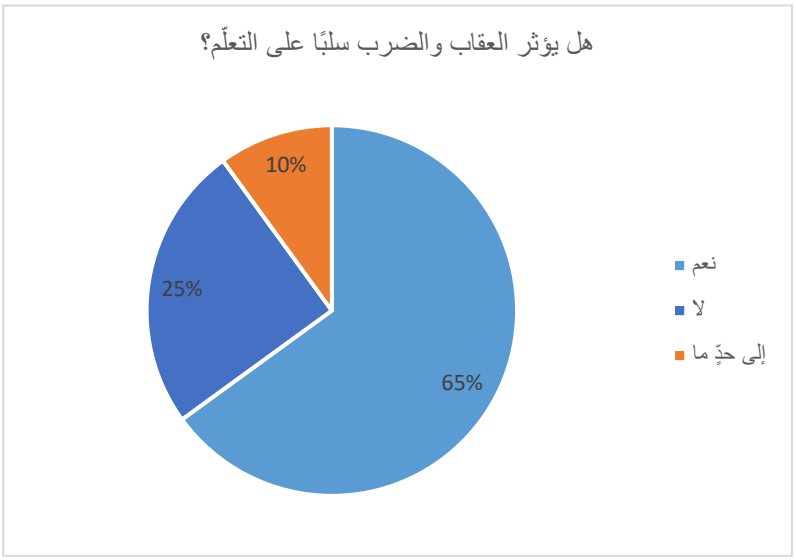

الرسوم البيانيّة 13 و14 و15: آراء الأهالي حول العقاب في النظام التعليمي في إدلب

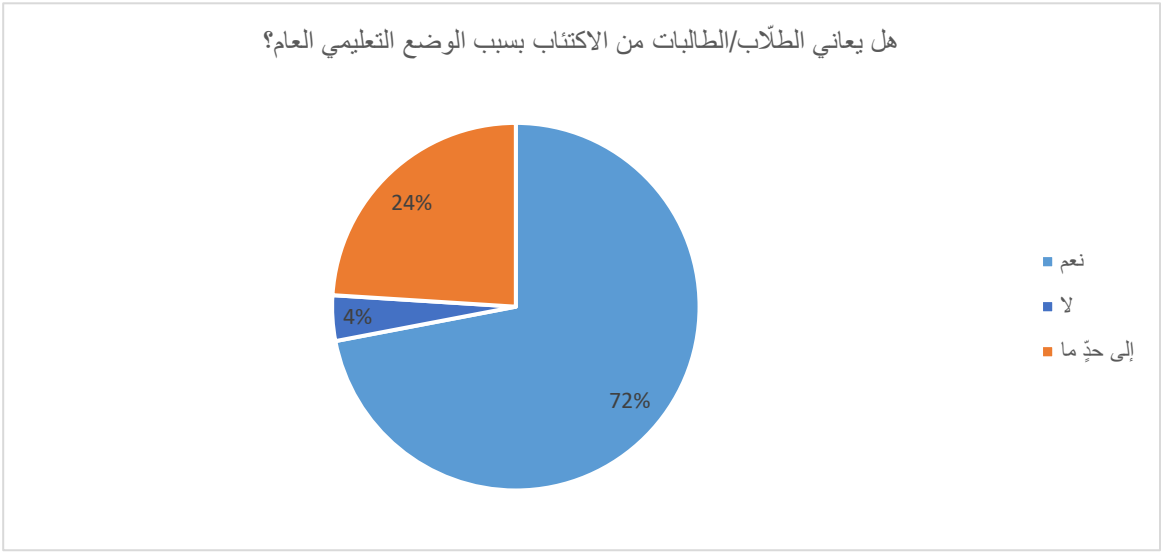

الرسم البياني16: رأي الأهالي فيما إذا كان الطلّاب/الطالبات يعانون من الاكتئاب بسبب الوضع التعليمي العام في إدلب.

التمييز وعدم الإدماج

التمييز القائم على الدين

يمكن من خلال المنهج المنقّح المعتمد من قبل هيئة تحرير الشام (HTS) استخلاص أوجه الشبه مع "فقدان الذاكرة" الجماعي الذي تمّ ترسيخه في المجتمع. خلال دروس التاريخ، حُذِفت الكثير من الحقائق المتعلّقة ببعض الأقلّيّات من المنهج الدراسي. وبشكلٍ خاص، لم تأتِ الكتب على ذكر الشيخ العلوي صالح علي من الساحل السوري والذي كان مناضلًا معروفًا ضدّ المستعمرين الفرنسيّين. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الشيخ ينتمي إلى طائفة الرئيس الحالي بشّار الأسد، الذي اشتهرت مناهجه التعليميّة بالتلاعب بالحقائق التاريخيّة في الكتب المدرسيّة على حساب الطوائف الدينيّة. ويمكن في هذا الإطار تسليط الضوء على مثال آخر، وهو حذف دور حزب الله في حرب

2006 في سوريا بالكامل، بدلًا من تقييمه بشكلٍ نقدي، ربّما بسبب أعمال العنف التي ارتكبها الحزب بحقّ الشعب السوري في الحرب. ويمكن تفسير ذلك على أنّه تمييز ضدّ طائفة معيّنة.

ويُحيي هذا النوع من الإقصاء في المناهج الدراسيّة أيديولوجيّات العصور الوسطى المعارضة لإدماج ديانات أخرى غير الإسلام. فقد عبّر أحد/إحدى الطلّاب/الطالبات الذين أُجريت معهم مقابلات عن ضرورة هَدْي الآخرين غير المسلمين إلى الطريق الصحيح، بينما قال آخر/أخرى أنّه لا ينبغي السماح للمسيحيّين بالعيش مع المسلمين إلّا إذا دفعوا الديّة أو التعويض المالي. وتعكس هذه الآراء إلى أي مدى نجحت المناهج المعتمدة من قبل هيئة تحرير الشام (HTS) في زرع أيديولوجيّتها الخاصّة في عقول الطلّاب/الطالبات الشباب في إدلب.

التمييز القائم على العرق

كما هو الحال مع الطوائف الدينيّة الأخرى، تفتقر المناهج الدراسيّة في إدلب تمامًا إلى مناقشة التنوّع الثقافي والعرقي للشعب السوري، فيقتصر الحديث على الأغلبية العربيّة. وقد تجلّى ذلك عندما طُلب من مجموعة مركّزة من الطلّاب/الطالبات في إدلب وصف عيد النيروز بما أنّ منطقة عفرين ذات الأغلبيّة الكرديّة مجاورة لإدلب، ولم يعرف ستة من بين عشرة طلّاب/طالبات ما هو عيد النوروز، ما يدلّ على عدم رغبة السلطات القائمة بسرد قصص الأعراق السوريّة الأخرى في المناهج الدراسيّة.

الإدماج والمساواة بين الجنسَيْن في المناهج الدراسية

تمّ تعديل جزء كبير من المناهج الدراسيّة التي نقّحتها هيئة تحرير الشام (HTS) لاستبعاد الأصوات النسائيّة من خوض تجربة التعلّم. على سبيل المثال، وبحجّة البلاغة العربيّة، تمّ حذف ضمير المؤنّث بالكامل من كتب المنهج. بالإضافة إلى ذلك، لم تُذكر أي شخصيّة تاريخيّة نسائيّة في المنهج باستثناء المناضلة الجزائريّة لالة فاطمة نسومر التي اشتهرت بقتالها الفرنسيّين في الجزائر، ممّا يدلّ على تفضيل النساء اللواتي استشهدنَ في أرض المعركة. ويعكس ما سبق مناهج التعليم البعثيّة التي لا تذكر النساء سوى ضمن السياقات الذكوريّة.

بالإضافة إلى ذلك، حاولت هيئة تحرير الشام (HTS) جاهدةً فرض أدوار النوع الاجتماعي، حيث تفصل ما بين الفتيان والبنات في المدارس وتحدّد العدد الإلزامي للفتيات في الصفّ ليتمّ فتح صفّ لهنّ ب 15، غير أنّ هذا الشرط لا ينطبق على الفتيان. وبالتالي، إذا كان هناك 5 فتيات يستطعنَ الذهاب إلى المدرسة في منطقة معيّنة، لن يتمكنَّ من تلقّي التعليم إلّا إذا وجدنَ 10 فتيات أخريات لسدّ هذه الفجوة. وقد تبيّن في مجموعات النقاش المركّزة (FGDs) أنّ الطلّاب/الطالبات لم يلاحظوا هذا الفصل، وهو حتمًا نتيجة هذا الفصل المبني على النوع الاجتماعي نفسه.

اللافت في الحديث عن الفصل المبني على النوع الاجتماعي في النظام التعليمي في إدلب، هو أنّ الطلّاب/الطالبات يعتبرونه جانبًا طبيعيًّا، والتزامًا بالأعراف المجتمعيّة. ويمكن أن يُعزى هذا التصوّر إلى التأثير طويل الأمد للحرب والفقر ووسائل التواصل الاجتماعي التي عزّزت جميعها هذه القيم داخل مجتمع إدلب. علاوةً على ذلك، يتمّ تعليم الطلّاب/الطالبات في المدرسة أن وجود الفتيات في القاعة الدراسيّة نفسها قد يُشتّت الانتباه.

تؤثّر فلسفة التدريس هذه أيضًا على المعلّمين/المعلّمات أنفسهم/أنفسهنّ، وهنا ينبغي الإشارة إلى إطار معمولٍ به في إدلب يقضي بوجوب أن تُدار المعلّمات من قبل معلّمات أخريات، الأمر الذي يُعدُّ معقّدًا ويبيّن عدم تقديم الدعم للمعلّمات أسوةً بالمعلّمين. على سبيل المثال، يُعدّ دعم تدريس المواد العلميّة في المدارس المخصّصة للبنات محدودًا.

التعليم كأداة للدعاية (البروباغندا)

كما هو الحال مع الطوائف الدينيّة الأخرى، تفتقر المناهج الدراسيّة في إدلب تمامًا إلى مناقشة التنوّع الثقافي والعرقي للشعب السوري، فيقتصر الحديث على الأغلبية العربيّة. وقد تجلّى ذلك عندما طُلب من مجموعة مركّزة من الطلّاب/الطالبات في إدلب وصف عيد النيروز بما أنّ منطقة عفرين ذات الأغلبيّة الكرديّة مجاورة لإدلب، ولم يعرف ستة من بين عشرة طلّاب/طالبات ما هو عيد النوروز، ما يدلّ على عدم رغبة السلطات القائمة بسرد قصص الأعراق السوريّة الأخرى في المناهج الدراسيّة.

الالتفاف حول الزعيم

تمّ تعديل أجزاء كثيرة من المنهج الدراسي لتتمحور حول أيديولوجيّة السلطات القائمة في إدلب. على سبيل المثال، يُشار إلى ما كان يعرف بـ "سرقة" الجولان في مناهج النظام بـ "بيع" الجولان (على يد النظام). كذلك، يُسمّى استيلاء جمال عبد الناصر على السلطة بالانقلاب، بينما وصول صدّام حسين إلى السلطة ليس سوى "استلام" للحكم. إذًا، من الواضح أنّ المنهج الصادر عن هيئة تحرير الشام (HTS) يهدف إلى "تصويب" الأحداث التاريخيّة واختيار القادة بشكلٍ انتقائي للالتفاف حولهم، وفقًا لوجهة نظرها الخاصّة.

واللّافت أنّه لم يتمّ التركيز في هذه الكتب على الالتفاف حول الجولاني أي زعيم هيئة تحرير الشام (HTS). ويمكن تفسير ذلك بأنّ الكتب المدرسيّة قد طُبِعت قبل تولّيه السلطة، وكانت تركيا مسؤولة بشكلٍ أساسي عن إصدار الكتب في حين تولّى الجولاني فرض حكمه من خلال العبادة والتهريب. بالتالي، يمكن القول أنّ العبادة انتقلت من عقيدة الفرد إلى عقيدة الدولة.

الهويّة

تحاول المناهج الدراسيّة التابعة لسلطات هيئة تحرير الشام (HTS) بالدرجة الأولى إرساء هويّةٍ عربيّةٍ ومسلمةٍ وأغلبيّة، وغالبًا ما يتجلّى ذلك بوضوح في كتب التاريخ. تستعرض الكتب المدرسيّة تاريخ سوريا وفلسطين بشكلٍ غير متناسب، وتستخدم الأخيرة كوسيلة لخلق هويّة مشتركة بطريقة مشابهة للنظام البعثي وإضفاء الشرعيّة على الثورة السوريّة. كذلك، عدّلت الهيئة كلّ ما يتعلّق بالجولان، مبيّنةً أنّ حافظ الأسد باع الجولان ليصبح رئيسًا.

وعندما سُئل الطلّاب/الطالبات الذين يدرسون كتب التاريخ هذه عن هويّة سكّان الجولان، لم يُجب سوى جزءٍ صغير منهم أنّهم يحملون الجنسيّتَيْن السوريّة والإسرائيليّة، بينما أشار البقيّة إلى أنّ هؤلاء السكّان إسرائيليّون، أو كانوا سوريّين وأصبحوا إسرائيليّين.

وافق 75% من المشاركات/المشاركات (21 امرأة و54 رجلًا) على أنّ المناهج الدراسيّة في إدلب لم تساعد في بناء هويّة جماعيّة، فيما عبّر 44% منهم/منهنّ عن ضرورة إضافة مقرّرات قانونيّة ودستوريّة وأخلاقيّة إلى المناهج الدراسيّة لتعزيز بناء الهويّة المشتركة، ممّا يُظهر كيف أثّر منهج النظام البعثي على هذه المجموعة من المشاركين/المشاركات. ومع ذلك، أكّد 66% من المشاركين/المشاركات (45 امرأة و21 رجلًا) على ضرورة إلغاء الأيديولوجيّات السياسيّة من المنهج الدراسي (يُرجى مراجعة الرسم البياني 18)، في حين عارض 79% منهم/منهنّ (47 امرأة، 32 رجلًا) فصل الدين عن المنهج الدراسي (يُرجى مراجعة الرسم البياني 19)، ما يوضح أنّ هويّتهم الجماعيّة تعتمد كثيرًا على الهويّة الدينيّة.

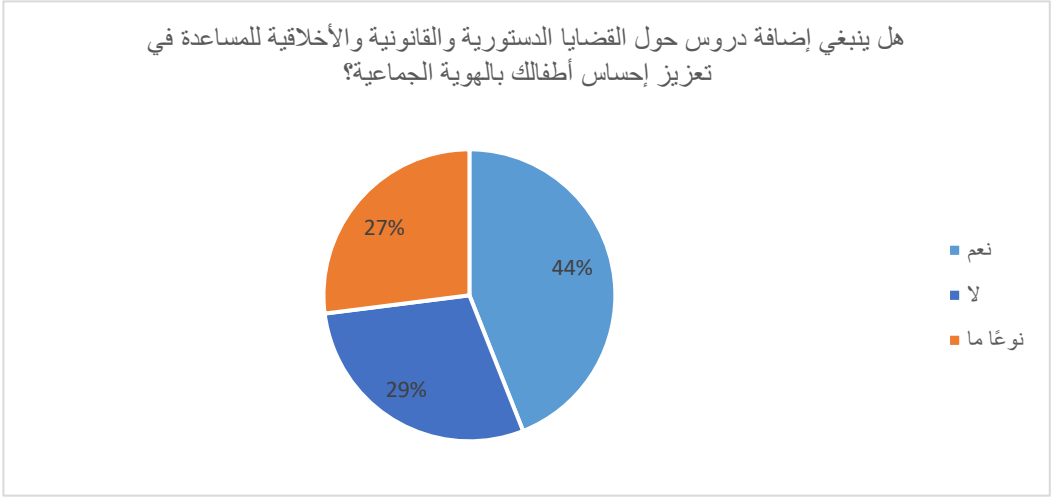

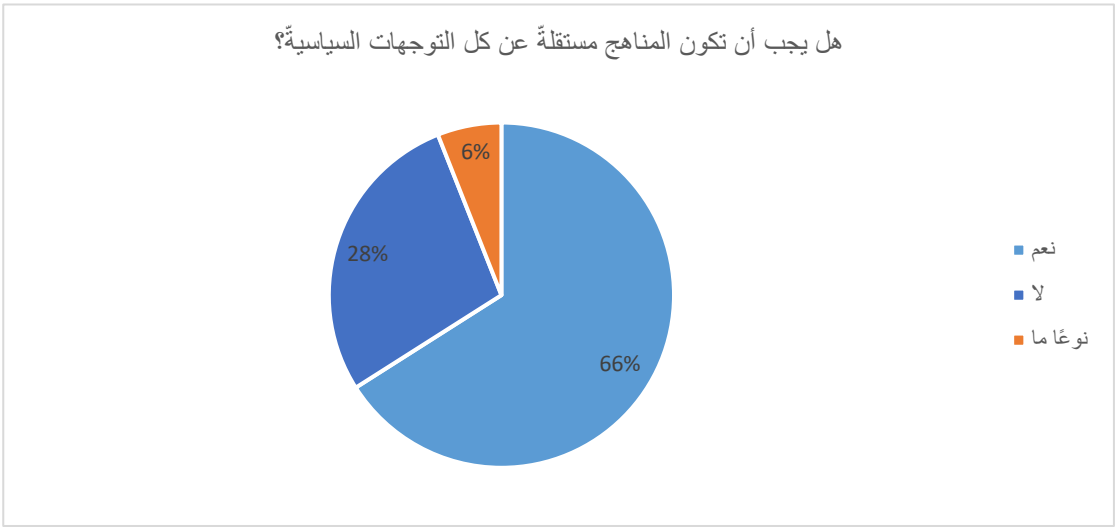

الرسمان البيانيّان 17 و18: الهويّة السوريّة والمناهج الدراسيّة في إدلب

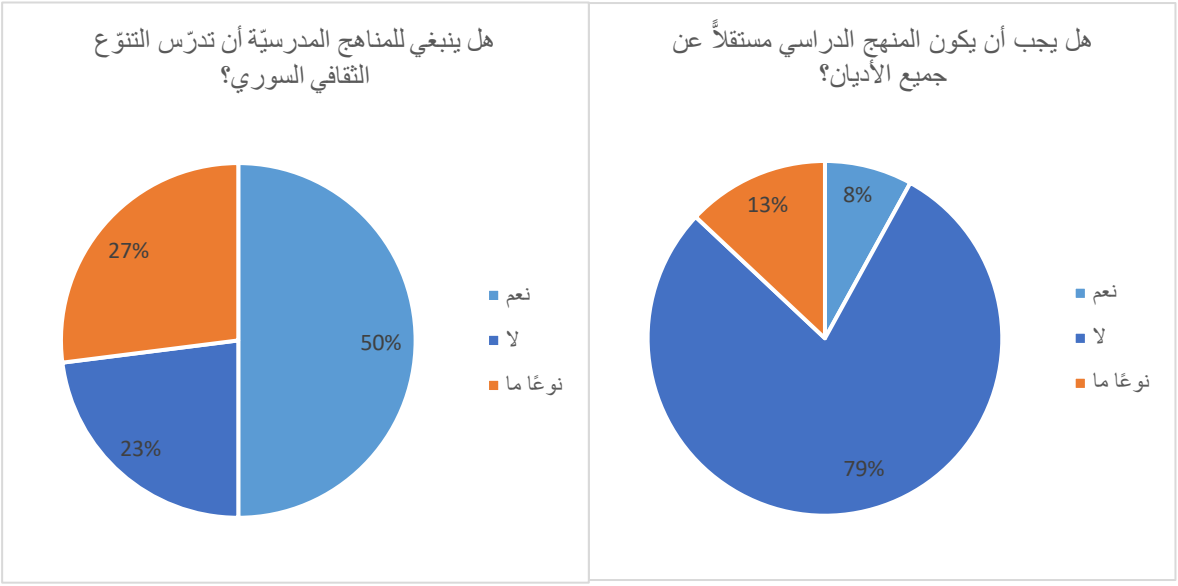

الرسمان البيانيّان 19 و20: التعدّديّة الدينيّة والأخلاقيّة في المناهج الدراسيّة في مدينة إدلب

التوصيات

المنهج والنهج التعليمي والرفاه:

1. ***مراجعة المناهج لتحقيق المساواة بين الجنسَيْن:*** تُعتبر عمليّة إعادة التقييم الشامل للمناهج التعليميّة من منظور النوع الاجتماعي أمرًا ضروريًّا لتعزيز المساواة والمواطنّة والتعدّديّة في النظام التعليمي.

2. ***التعليم الموجّه نحو التنمية:*** تحديد النقص في الخطط التعليميّة المصمّمة خصّيصًا لتلبية الاحتياجات المتعلّقة بإعادة الإعمار في سوريا ومعالجتها، بما في ذلك برامج التعليم المهني التي تعتبر ضروريّة لتنمية البلد.
3. ***استقلاليّة المناهج:*** الحرص على استقلال المناهج التعليميّة بشكلٍ كامل عن أيّ تأثير سياسي أو ديني، مع التركيز على احترام التنوّع الديني واللغوي والعقائدي. كذلك، ترويج المبادئ الأخلاقيّة كموضوع محوري، وربطها بالديمقراطيّة والمواطنة والعقد الاجتماعي، بهدف غرس هذه القيم في الجيل الجديد وضمان إدراجها في الدستور السوري المقبل.
4. ***فريق معني بتطوير المناهج التعليميّة:*** تشكيل فريق من الخبراء/الخبيرات المؤهّلين/المؤهّلات من الناحية الأكاديميّة للإشراف على تطوير المناهج، وضمان أن يكون الفريق مستقلًّا سياسيًّا ويمتلك المعارف والخبرات العلميّة اللازمة.
5. ***الصحّة العقليّة والدعم النفسي والاجتماعي:*** مراعاة الصحّة العقليّة وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي في المدارس لمعالجة القضايا المرتبطة بالصحّة العقليّة التي يعاني منها الطلّاب/الطالبات والمعلّمون/المعلّمات والمجتمع التعليمي، من خلال برامج التعزيز والوقاية والاستجابة.
6. ***ورش العمل التربويّة:*** تنظيم ورش عمل للعاملين/العاملات في القطاع التعليمي في سوريا، لتقديم رؤى حول التجارب الدوليّة في مجال التعليم في فترة ما بعد النزاع.

<u>التنسيق والدعم والبنية التحتيّة:</u>

7. ***التنسيق بين المنظّمات التعليميّة:*** تعزيز التعاون والتنسيق بين الجمعيّات والمنظّمات التي تركّز على التعليم لضمان التدخّلات الاستراتيجيّة والمستدامة.
8. ***برامج إعادة الإدماج:*** تطوير برامج متخصّصة لدعم إعادة إدماج الطلّاب/الطالبات الذين تسرّبوا من المدارس، وإتاحة الفرص لهم ليُواصلوا تعليمهم في مختلف المنظّمات التعليميّة.
9. ***تجهيز القاعات الدراسيّة:*** تجهيز القاعات الدراسيّة بالموارد والمواد اللّازمة لتمكين المعلّمين/المعلّمات من تقديم تعليم جيّد وبعيد عن أسلوب التلقين.
10. ***تدريب المعلّمين/المعلّمات:*** تشجيع التطوير المهني المستمرّ للمعلّمين/المعلّمات والمدراء في مجال التعليم من خلال تقديم دورات تدريبيّة لتعزيز مهاراتهم، مع حصر وظائف التدريس بالأشخاص المؤهّلين أكاديميًّا.
11. ***البنية التحتيّة ورأس المال البشري:*** تحسين البنية التحتيّة التعليميّة كمًّا ونوعًا مع توفير فرص التطوير المهني للمعلّمين/المعلّمات، وتمكينهم من تطبيق أساليب التدريس الحديثة.

<u>التنوّع والمشاركة الدوليّة:</u>

12. ***التعليم متعدّد اللغات:*** ضمان أن تمتلك جميع المدارس السوريّة القدرة على توفير التعليم بلغات متعدّدة، بما في ذلك الكرديّة والسريانيّة وغيرها، لتعكس التنوّع اللّغوي داخل البلد.
13. ***المشاركة الدوليّة:*** إنشاء قنوات تواصل مع الهيئات الدوليّة المنخرطة في المفاوضات مع سلطات الأمر الواقع لحلّ مسألة الاعتراف بالشهادتين الإعداديّة والثانويّة، والتي لا ينبغي استغلالها لأغراضٍ سياسيّة على حساب الطلّاب/الطالبات والأسر والمؤسّسات التعليميّة. وفي سبيل تحقيق التنمية المستدامة والعدالة والاستقرار وسيادة القانون، ينبغي على سوريا النهوض بإصلاحات سياسيّة وتعليميّة كبيرة. وتُعدُّ هذه الإجراءات ضروريّة لتعزيز عمليّة الانتقال من جيل طبعه النزاع والهيمنة إلى جيل يتميّز بالتعلّم والتطوّر والإبداع والتميّز.

الإصلاحات السياسيّة والدستوريّة:

14. ***الانتقال السياسي:*** إعادة هيكلة السلطة السياسيّة الحاليّة، وتفكيك المنظّمات التي لا دورَ لها في العمليّة التعليميّة، وإعادة تشكيل نظام التعليم لإعطاء الأولويّة للتخصّص والكفاءة كجزءٍ من الانتقال السياسي الأوسع.
15. ***المساواة بين الجنسَيْن والمواطنة المتساوية:*** وضع دستور جديد يدعم بشكلٍ علني المساواة بين الجنسَيْن والتشريعات التي تضمن المواطنة المتساوية والحقوق المتساوية للناس من جميع الأنواع الاجتماعيّة والأديان والأعراق.

الخلاصات

سلّطت هذه الدراسة الضوء على التداخل المعقّد بين التعليم وديناميّات الإقصاء والعنف في ثلاث مناطق مختلفة في سوريا تخضع جميعها لسلطات مختلفة، فتقع السويداء تحت سيطرة النظام السوري، في حين تسري الرقّة تحت سيطرة سلطة "الإدارة الذاتيّة" لشمال وشرق سوريا، وإدلب تحت سلطة هيئة تحرير الشام (HTS). تنظر الدراسة في كيفيّة تأثُّر المناهج الدراسيّة في هذه المناطق بشكلٍ كبير باختلاف السلطات القائمة عليها، ما ينعكس إلى حدٍّ كبير على نظرة الطلّاب/الطالبات للإقصاء والعنف. وهنا لا بدّ من التأكيد على أنّ هذه التأثيرات متجذّرة بشكلٍ خاصّ في القضايا المتعلّقة بالنوع الاجتماعي والعرق والأصل الإثني والدين، والتي تناولتها هذه الدراسة بشكلٍ أساسي.

كذلك، يستعرض هذا البحث بشكلٍ محوري العلاقة المعقّدة بين النظام التعليمي الحالي والتطلّعات الأوسع لبناء السلام، مبيّنًا التحدّيات الجسيمة التي تواجهها مبادرات بناء السلام عندما يشمل النظام التعليمي عناصرًا مثل العنف والتمييز والدعاية (البروباغندا) وعدم الإدماج وعدم مراعاة اعتبارات النوع الاجتماعي أو يُكرّس هذه العناصر التي تشكّل مجتمعةً، عوائق جمّة تحول دون تنمية مجتمع يقوم على مبادئ السلام والمساواة والعدالة والإدماج.

ومن خلال التركيز على الإطار التعليمي في سياق الحرب والنزاع، حلّلت الدراسة بدقّة كيف يمكن للمناهج الدراسيّة أن تعزّز عن غير قصد العنف والتحيّز الجنساني والتمييز العرقي. يتناول البحث في المقام الأوّل المناهج الدراسيّة في الرقّة والسويداء وإدلب، ويكشف كيف تعمل هذه المناهج كأدوات لتمارس السلطات المحلّيّة نفوذها العسكري وتؤثّر على هويّة الطلّاب/الطالبات وشعورهمَ بالانتماء إلى منطقة معيّنة.

وبعد تحليلٍ شامل لهذه المناهج الدراسيّة، خلصت الدراسة إلى أنّ المؤسّسات الأكاديميّة تعمل فعليًّا كقنوات للنشاط السياسي، فتتماهى مع الأجندات السياسيّة للسلطات المحلّيّة في كلّ من هذه المناطق. وهذا يؤكّد العلاقة الوثيقة بين السياسة ومحتوى النظام التعليمي ومناهجه. علاوةً على ذلك، سلّط هذا البحث الضوء على التأثيرات المباشرة وغير المباشرة لهذه المناهج والناجمة عن المشهد التعليمي المعقّد الذي تضرّر بشدة جرّاء العنف المستمرّ، وتدمير البنية التحتيّة التعليميّة في البلد، وانخفاض عدد العاملين/العاملات في مجال التعليم. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي الإشارة إلى أنّ القوالب النمطيّة للنوع الاجتماعي تُحدّد بشكلٍ ملحوظ محتوى هذه المناهج، ما يحول دون حصول عدد كبير من الفتيات على التعليم، لا سيّما في إدلب، وبالتالي تعزيز التهميش القائم على النوع الاجتماعي والعرق والدين.

وعلى الرغم من اختلاف السلطات الحاكمة، يبدو الواقع التعليمي مقلقًا في كلّ هذه المناطق. على سبيل المثال، لقد تسبّب التدمير المستمرّ للبنية التحتيّة في إدلب في تردّي الوضع الاقتصادي، ممّا أدّى إلى عجز في تقديم الرواتب الكافية للمعلّمين/العاملات ما يدفعم للبحث عن عمل في مكان آخر ويُخلّف فجوةً في جودة التدريس في المنطقة. وفي الرقّة، لا يذهب إلى المدارس سوى عدد محدود من

الطلّاب/الطالبات بسبب اعتماد المنطقة ماليًّا على وزارة التربية والتعليم. أمّا في السويداء، فيتعمّد المعلّمون/المعلّمات خفض جودة الدروس التي يُعطونها لتشجيع التدريس الخصوصي بعد المدرسة وبالتالي الحصول على دخلٍ إضافي.

تتجلّى هذه التحدّيات بشكلٍ مختلف في كلّ منطقة من هذه المناطق، علمًا أنّها تتفاقم جرّاء ارتفاع مستويات الفقر والتدهور الاقتصادي. وخير دليلٍ على ما سبق أنّ المناهج الدراسيّة في الرقّة غير معترف بها رسميًّا، وقد فشلت الكثير من الدورات الإلزاميّة في معالجة الصعوبات المنبثقة عن ذلك. أمّا في إدلب، فيواجه الطلّاب/الطالبات التهديد المستمرّ بالقصف في طريقهم إلى المدارس وداخلها. في حين يعاني الطلّاب/الطالبات في السويداء من واقعٍ مزدوج يتّسم بتمجيد النظام في المناهج الدراسيّة، الأمر الذي يتناقض بشكلٍ صارخ مع تجاربهم اليوميّة. وتنطبق هذه المشكلة أيضًا على مدينة الرقّة.

في جميع الأحوال، تشجّع المناهج الدراسيّة أجندة تمييزيّة ضدّ الأقليّات. ففي إدلب، أدّى الفصل المبني على النوع الاجتماعي في القاعات الدراسيّة وإعطاء الأولوية للفتيان على حساب الفتيات إلى تفاقم حالات عدم المساواة بين الجنسَيْن والتشديد على التعاليم الإسلاميّة. أمّا في الرقّة والسويداء، فتزداد حدّة هذه التباينات بسبب تمسّك المعلّمين/المعلّمات أنفسهم بالقوالب النمطيّة للنوع الاجتماعي. وتُترجم نتيجة ما سبق في تقويض جماعي للأقليّات المتنوّعة في سوريا.

وفي نهاية المطاف، يؤدّي كلّ ما ذُكِر إلى الترويج لبروز جيل جديد من الشباب السوري الذي ينظر إلى بلده بصورة مغايرة بشكلٍ واضح، مبتعدًا عن سوريا التي تتميّز بالتنوّع الثقافي، بل معرقلًا آفاق تحقيق السلام والعدالة في البلاد.